

"المواطنة" في أدب الطفل في الخليج العربي: ما بين رؤية كبار وقبول صغار

عبير عبد الله عبد الوهاب العباسي

أ. مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة الملك عبد العزيز-جدة

aalabbasi@kau.edu.sa

abeer_abbasi@yahoo.co.uk

الملخص

الانتهزامية التي تشهدها النتاجات العربية المقدمة للطفل أمام نظيرتها العالمية لا جدال فيها. الطفل العربي في إقباله على أعمال من مثل ذات الرداء الأحمر، أليس في بلاد العجائب، السنافر وغيرها من النتاجات العالمية "غير العربية" هو شاهد على هذه الانتهزامية. وعليه، فالسؤال الذي يثيره البحث هو: لماذا يُقبل الطفل العربي "بنهم" على هذه الأعمال "العالمية"، بينما لا تجذبه نتاجات "عربية" تتأطرها. البحث طرح فرضية مفادها أن سر "الانتهزامية" يكمن في منهجية الطرح لهذه الأعمال وتلك: فالأعمال العالمية شعارها "الطفل أولاً"، بينما الأعمال العربية تطرح أعمالاً من منظور "ما يروق الكبار سيروق صغارهم بالتبعية". هذه النظرة "الأبوية" التي غلبت فيها جرعة "الفائدة" على "المتعة" هي ما سبب نفور الطفل من أعمال أنتجت ببنته العربية، وجعلته بالمقابل يجد ضالته في إبداعات عالمية تنتج أعمالها من مفهوم "الكتاب الجيد هو ذلك القادر على أن يرى العالم من خلال عيون الطفل". المنهجية "البيئية" (interdisciplinary approach) هي وسيلتنا لفهم أعمق للمطروح أعلاه، عن انتهزامية أدب الطفل العربي، الخليجي خصوصاً، أمام نظيره العالمي، والسبيل الناجعة لمعالجته.

كلمات مفتاحية: أدب الطفل، رؤية كبار، قبول صغار، منهجية بيئية، المواطنة، الخليج العربي.

**in Children's Literature of the Arabian Gulf: between "Citizenship"
Adults' Vision and Youngster's Appeal**

Abstract

It is indisputable that children's literature produced in the Arabic countries suffers a defeat nowadays. A testimony to this defeat is that works, such as *Little Red Riding Hood*, *Alice in Wonderland*, *Smurfs* appeal more to children in the Arab world than their Arabic counterparts. It is questionable, therefore, why would children in these countries accept with passion foreign products of children's literature while seem reluctant to accept such materials produced in their countries? The research puts it bluntly that it is "seeking the perspective of the child" that characterizes international children's literature that makes it of powerful and heartfelt appeal to young audience. In contrary, literary materials produced for children in the Arabic countries make its motto: "what appeals for adults should attract their youngsters." The research argues that the conundrum of the 'good' children's book embodied in its ability to "seeing the world through the eyes of a child." The study employs interdisciplinary approach, to understand this methodology.

Keywords: Children's literature, Arabic world, child's appeal, adult's vision.

المقدمة

"البينية" سمّة تغلب على منهجيات الدراسات الإنسانية المعاصرة؛ ذلك أن الفصل بين العلوم لم يعد مجدياً في عصر انفجار معرفي تداخلت فيه معالم العلوم مع بعضها البعض، وتوالدت بعضها من بعض. وعليه فهذا البحث يذهب إلى أنّ من أسباب ضعف أدب الطفل في عالمنا العربي هو قصور النظرة فيه عن أهمية تغيير مقاربتنا له وبحثنا فيه بما توافر من منهجيات علمية عديدة. في ضوء هذا التّصور، فالجدلية القائم عليها البحث هي ضرورة تضافر نتائج دراسات حقلي علم النفس ونظريات الأدب في إنشاء نتاجات فنية موجّهة للطفل وأيضاً في نقد ودراسة تلك النتاجات. في الحقيقة، كلمة السر في نجاح أدب الطفل "العالمي" هو هذه المنهجية البينية التي تنشأ على أساسها وتُدرس أيضاً نتاجات هذا الحقل الإبداعية والعلمية. وفي هذا البحث نهدف إلى تبيان أثر توظيف

نظريات الأدب وعلم النفس في تطوير فهمنا لأدب الطفل، وتوضيح أسباب إخفاق كثير من الأعمال الإبداعية المقدمة للطفل في عالمنا العربي بعامة، والخليجي بخاصة، في تحقيق النجاحات المرجوة لها. هذا الإخفاق تعزو الدراسة أحد أسبابه إلى أن ما يقدم للطفل في عالمنا معتمد في غالبيته على ما يعده الكبار مناسباً للصغار؛ دون أن يكون مدعوماً (بشكل فردي أو مؤسساتي) بالأسس العلمية والأدبية الآخذة في الاعتبار بمبادئ ومفاهيم ذات صلة بأدب الطفل. هذا التأسيس لأدب الطفل على مبادئ من نظريات علم النفس والأدب تبحث في عوامل نجاح أو إخفاق هذه الأعمال، منذ لحظة إنشائها فردياً ومؤسساتياً، حتى قبول القارئ "الصغير" لها، ثم الأثر الذي أحدثته فيه. وعليه، فالجدلية القائم عليها البحث هي أنه لا بد لمن يريد خوضاً في عالم الكتابة للصغار، أو التنظير لمبادئها ونقد نتائجها، أن يستند إلى نواتج العلوم النفسية والنظريات الأدبية معاً، فيصنع الفنان موهبته الإبداعية بها، وتقيم الدراسات المهمة بأدب الطفل أركانها على أساسها، لتأتي النتائج الموجهة للطفل على أساس من معرفة حقيقية بالطفل، فتكون هذه المعرفة هي النقطة المركزية لكل ما يوجه له من أعمال فنية تدور في فلكه.

في دمجنا التنظيري مع التطبيقي فيما يخص جدلية البحث هذه، يتناول البحث ثيمة "المواطنة" التي تستأثر بالعديد من الأعمال الأدبية المقدمة للطفل الخليجي بخاصة، بهدف غرس قيم الانتماء للوطن في حدوده الجغرافية، ونموذجنا في ذلك مجلة ماجد؛ بوصفها الأكثر شهرة، ضمن مجموعة الأعمال المقدمة للطفل في الخليج العربي، والهادفة إلى تحقيق قيمة الولاء للوطن؛ كما تصرّح بذلك المجلة في أهدافها. السؤال الذي تطرحه الجدلية: هل الكيفية التي تُطرح بها ثيمة "المواطنة" هذه ملائمة لعقلية النشء الموجهة إليهم؟ وما هو "مقياس" نجاح أو إخفاق تحقيقها؟ وما هي معايير ذلك المقياس؟ هذه الأسئلة هي التي يدور في فلكها محور النقاش في جدلية البحث، والمادة المفعلة لهذا هي نماذج من الأعمال العالمية التي لاقت قبولا عند أطفال الخليج لمقارنتها بتلك التي حصل فيها اجتهادات فردية أو مؤسساتية، تحديداً مجلة ماجد، لكنها ظلت عاجزة عن اللحاق بركب العالمية في إقبال الطفل عليها، لأسباب متعلقة بإهمال التطبيق للنظريات العلمية والأدبية التي تُعنى بالقضية من جميع جوانبها (مبدع ورسالة ومتلقي)، كما تذهب إلى ذلك الجدلية المُفتتح بها البحث.

المراجعة الأدبية للبحث وقفت على دراسات سابقة عليها تبنت وجهة نظر مشابهة، فيما يخص ضرورة الإفادة من علوم التنظير الأدبي للإسهام في تطوير ما يقدم للطفل العربي من أعمال أدبية.

مثلا، الدراسة المعنونة "نحو أفق تلقّ في أدب الأطفال: دراسة نقدية في أسس نظرية التلقي عند ياكوس"، نجد الباحثة منى محمد صالح الغامدي تأخذ في اعتبارها أن إهمال أدب الطفل في العالم العربي لجمهوره له أثره في رفض هذا الجمهور (الطفل) له. وفي محاولة للعلاج، تستند الغامدي إلى نظرية التلقي عند هانز روبرت ياكوس، فتحاول تطبيق مفاهيمها على عملية التلقي عند الطفل. الدراسة على ما فيها من جهد واضح في تجميع بنيتها المعرفية إلا أن طرحها جاء جامدا؛ لفصله ما يخص واقعيات الطفل عن التطبيق الفعلي للنظرية، في اندماج يسهّل على القارئ فهم الأثر الفعلي لنظرية ياكوس على فعل القراءة عند الطفل. وفي توافق منظورها عن أهمية مقارنة أدب الصغار في ضوء ما يستجد من نظريات أدبية، سلمى عطا الله تتيح لنا قراءة داخلية، بمنهجية بنيوية سيميائية، لثلاثة نصوص من قصص أطفال للكاتب السوري زكريا تامر، تسعى بها إلى إقحام المتلقّي في النص وعملية تأويله، ما ينتج عنه تذوق لجماليات نتاجات أدب الطفل، ويعيد لها، بالتالي، عدّها على المستوى النقدي بما يسهم في تقدمها. تتوافق رؤيتنا مع هكذا نوعية من أبحاث، متطلعة لإعطاء دفعة للأعلى لأدب الطفل في العالم العربي، من خلال ربطه بنظريات أدبية أثبتت فاعليتها في نهضة أدب الكبار. لكن، ما تنفرد به دراستنا عن غيرها هو المنهجية البيئية التي تربط بها فاعلية هذه النظريات الأدبية في حقل أدب الطفل بعلوم وسيطة تصل بينهما، وعلى رأسها علم النفس الذي نختار منه هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية هيكلا تبني منه هروما مخصوصا لأدب طفل، تتظّم به احتياجات الطفل من مفاهيم وأنواع وأجناس أدبية متعددة طرحها التنظير الأدبي، آخذة في الاعتبار الاحتياجات النفسية للمراحل العمرية المختلفة للطفولة، كما نصّت عليها منظمة اليونسيف العالمية، وأثبتتها دراسات تطبيقية مختصة بالطفولة.

أدب الطفل الإقليمي (الخليجي) والعالمي (الشرق أسيوي، الأمريكي، الأوروبي): الانغلاق والانفتاح
رغم كل الجهود التأليفية على مستوى الأفراد، والدعيمية على مستوى المؤسسات، والتشجيعية على مستوى دول الخليج تبقى نوعية النتاجات الأدبية المقدمة للطفل دون المستوى المطلوب منها. وذلك استنادا إلى معيار قبول الطفل لها والإقبال عليها والتعلّق بما تقدمه من حكايا وأبطال وموضوعات. فما هو السبب وراء ضعف قبول الطفل لهذه النتاجات، والسر وراء عدم تمكّنها من جذبها إليها وتعلّقها بها، كما هو حاله مع النتاجات الكلاسيكية: عربية كانت (مثل: كليلة ودمنة، ألف ليلة وليلة، الزير سالم)؛ أو أجنبية كلاسيكية ومستجدّة (مثل: قصص الأخوين جريم، توم وجيري وغيرها من مسلسلات كرتونية مختلفة تُعرض على شاشات التلفاز الخليجية المخصصة للأطفال).

۱۲۵

.. تلقانا مستترين [لاصقين] عند التلفزيون! كأننا .. مداومين[عندنا دوام رسمي في عمل] علشان ما تفوتنا الرسوم!! لأن ماعندك إلا الخميس تفرّج فيه ... الصباح! وباقي الأيام مالك إلا تنتظر إلى العصر! أشهد بالله .. انها طفولة [طفولة بمعنى الكلمة-متعة]!؛^٤

هم في إجابتهم يبتدئونها بعدم معرفتهم لسر الانجذاب، وهنا السحر الذي ينبغي أن تتضمنه قصص الأطفال لتكون جاذبة لجمهورها، ويبقى معه أثرها ممتدا عبر السنين في صورة شجنٍ لأحاسيس مختلطة من سعادة استدعتها تذكرهم أيام استمتاعهم بالقصص، وحزن على مفارقتها. لكن خيوط هذا السحر تبدأ في الانكشاف فيما أبدوه من أسباب إعجاب: فهي القصة، رسومها، شخوصها، الأدوار التي لعبوها، وما انطوت عليه من متعة حقيقة استشعرها الطفل، وتفاعل معها، واشتاق لها، وألزم نفسه بمشاهدتها في موعدها؛ وكأنه ملتزم بدوام رسمي يستيقظ له خصيصا. وفي منتدَى آخر يُطرح السؤال نفسه فتجاوب إحداهن على استحياء قائلة: "هههه! موضوعك مرّة ثوب [حلو كثير]! أبصرأحه بتضحكوا علي إذا قلناكم!! بس يلا بقول، شنو يعني!!! أبصرأحة الكابتن ماجد؛^٥ وايد كنت أحبه، أما الحين توم وجيري،^٦ بس عاد مب لدرجة أني أتابعه وأنتظره بفارق الصبر، يعني هو مجرد إني إذا شفته طالع بالتلفزيون، وكان أخوي الصغير يتابعه بشاهده وياه .. لووووول." ^٧ وآخر إجابته ملفتة، لأنه يخص فئة الأطفال الذين لم تسنح لهم طفولتهم الحصول على فرص ترفيهية، لأسباب لا يذكرها، وعلى الرغم من ذلك كان "يسرق" بعضها لمشاهدة مسلسل المفضل، فيقول: "أنا عن نفسي ماكان عندي وقت اتابع رسوم متحركه، ولكن أسرق نفسي بعض الأحيان وأتابع لقطات منتقاة من بعض الافلام الكرتونيه هههههههه! أحسن شي تابعت (عدنان ولينا)."^٨ ثم أخرى إجابتها كالتالي: "هههههههههههههههه!"

موضوعك حلووووو..وأنا وايد كنت أتابع الرسوووم وكانت تعجبني، واللي أحبه الحين "ليدي"،^٩ "كونان"^{١٠} و "سلام دانك"،^{١١} وبعد "عدنان ولينا"، ولو جلست اعدد ما بخلص ... ههههههههههههههههههههههههه!"^{١٢}

الملاحظ في هذه العينة من الاختيارات العشوائية لإجابات من منتديات تجمع شباب خليجي عن أكثر مسلسلات الأنيمي التي أثّرت فيهم في مرحلة طفولتهم أنها قد تختلف في عناوينها لكنها تتفق في كونها مجمعة على أن الأحب إليهم من تلك النتاجات هي أجنبية. ويوصف فئة المتابعين لهذه المسلسلات الكرتونية من العينة الخليجية، فيمكننا استنتاج أن الجيل الحالي من الصغار والمراهقين (من دول الخليج) منغمسين بكل حواسهم مع نتاجات أدب الطفل العالمية (تحديدا جنس الأنمي)،

بينما النتائج العربية المقروءة والمرئية لا وجود لها في قائمة "ما أمتهم في الصغر من نتاجات فنية موجّهة لهم". وذلك رغم كثرة الجهد المادي والمعنوي المبذول فيها لجذبهم إليها. والعينة بيّنة، كما يقولون، فاختيارات جمهور الصغار لنتاجات عربية تكاد تكون منعقدة عند سؤالهم عما يعجبهم من أدب طفل في صورته المرئية.^{١٣} السؤال الذي يطرح نفسه بالضرورة إذن هنا هو: ما السبب وراء عزوف الأطفال والمراهقين من العرب (المنتجين لدول الخليج خاصة بالهوية أو الإقامة) عن نتاجات عربية في مجال أدب الطفل، رغم محاولات المنتجين المضنية في جذبهم لأعمالهم؟ الإجابة تستدعي فحص بعض من هذه الأعمال، والوقوف على أسباب العزوف عنها من قبل الجمهور الموجّه إليه هكذا نتاجات، أعني تحديدا الضغار "القاطنين" في دول الخليج العربي. الاختيار هنا سيكون لأشهر هذه الأعمال، وهو **ماجد** المنتج منه مجلة مقروءة منذ نهاية سبعينات القرن الماضي، وافتتح له، بدايات الألفية الميلادية الثالثة، قناة أطفال فضائية تحمل اسمه، وتدفع مسلسلات الإنيمي الخاصة ببطل الجلة "ماجد". والسبب في هذه الاختيار هو أن هذا العمل على رغم الشهرة التي نالها إلا أنه لم يُزاحم الأعمال الأجنبية التي سبق أن عرضناها ولم يرد ذكره ضمن أحب الأعمال من قبل الشريحة العشوائية التي اختيرت عفويا في المذكور أعلاه.

أسست مجلة ماجد في العام ١٩٧٩م "ضمن مشروع عربي وإعلامي شامل أمر بإطلاقه ... الشيخ زايد بن سلطان آل تهيان مؤسس دولة الإمارات".^{١٤} وافق إذن ظهور المجلة البدايات الأولى لتأسيس دولة الإمارات الذي وافق (٢ ديسمبر ١٩٧١م)، ونقرأ من الموقع الرسمي للمجلة الهدف من إنشائها:

لم يكن الهدف منه [تأسيس المجلة] مجلة للأطفال فحسب وإنما مبادرة ثقافية ووطنية تمثل الطفل الإماراتي والعربي. وانتشرت المجلة سريعا وامتدت من الخليج إلى المحيط لتصبح مجلة (الأولاد والبنات) في الوطن العربي، لاهتمامها بثقافة الطفل، وتقديمها محتوى ترفيهياً وتعليمياً هادفاً يعكس العادات والقيم العربية بلغة سهلة وبسيطة، فكتبت ثقة الآباء والأمهات، وأصبحت موسوعة ثقافية يتوارثها الأجيال منذ السبعينات وحتى الآن.^{١٥}

المجلة بما رسمته من أهداف صارت أنموذجاً احتذى أثره وسار على نمطه عديد من المجلات التي ظهرت لاحقة عليها في الخليج العربي. وهنا ينكشف لنا سمة هامة وأساسية من سمات نتاجات أدب للأطفال الخليجي منذ السبعينات وحتى اليوم، وهي أنّ قوامه هو "رؤية كبار" ينشأ في قلوبها ورغباتها ما يُراد للصغار أن يطلّغوا عليه من أعمال فنية تستهدفهم كجمهور لها، وليس ما يريده الطفل ويوافق

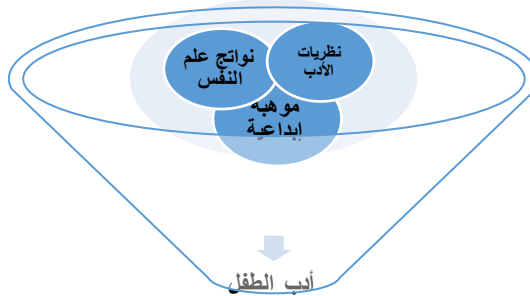
مسيّبات متعته. الحقيقة أن مقياس نجاح المجلة، كما يراه القارئون عليها، هو "مدى انتشارها بين الأولاد والبنات". نسبة المبيعات إذن هي ما استند إليه أصحاب المجلة لإثبات إقبال الأطفال عليها. وهم في ذلك تغافلو عن أنّ مسألة الإقبال لا ينبغي أن تُقاس بمعدلات الشراء؛ ذلك أن من يشتريها ليس بالضرورة الأطفال أنفسهم رغبةً في تحصيل "متعة" يرجونها منها، بل قد يكون أولياء الأمر هم من يشترونها في سبيل تحصيل "قائدة تنقيفية" لصغارهم، انطلاقاً من توافق نظرتهم "الأبوية" لأطفالهم مع مبدأ المجلة القائم على أنّ "رؤية الكبار هي الأنسب فيما ينبغي تقديمه للصغار".

ما يجعلنا نشك في إقبال وقبول حقيقي من الصغار على المجلة وقناتها الفضائية هو ذلك السؤال الذي طرحه صاحب أحد المنتديات الشبابية عن "أحب الشخصيات الكرتونية" التي لم يرد من ضمنها شخصية "ماجد" الشهيرة بطل المجلة. بل يتأكد هذا الشك عندما نذهب إلى منتدى آخر يطرح فيه صاحبه سؤالاً مشابهاً مفاده: "ما هي أحب شخصية كرتونية مفضلة لديك في طفولتك؟" ورغم أنّ غالبية المشاركين هم من جيل مرحلة السبعينات من القرن الماضي (وهي مرحلة ظهور مجلة ماجد وشخصياتها الكرتونية المشهورة) أو الثمانيات (وهي المرحلة التي شهدت فيها المجلة الذروة في نجاحاتها وشهرتها) لكن تبقى ذاكرة أصحاب ذلك الجيل خاوية من مساحة عن أثر لماجد (صاحب الشخصية الكرتونية الأشهر في المجلة)؛ فلا نجد اسمه يتردد بين استجابات المشاركين.^{١٦}

لا شك أن المجلة تركت أثراً جميلاً على جيل كامل، لكنه أثر يتلاشى في ظلّ ذكريات لأعمال عالمية زاحمتها وغلبتها في أثرها، ومدى بقاء هذا الأثر هو المقياس النجاح الحقيقي الذي ينبغي للأعمال الأدبية أن تعتمد معياراً لنجاحها أو إخفاقها. السؤال هو: لماذا رغم كل الجهد المادي والمعنوي المدعوم من أكبر المؤسسات في دول الخليج، تظلّ نتاجات أدب الطفل عاجزة عن المنافسة المحلية ناهيك عن العالمية؟ الإجابة تكمن في أهداف المجلة المذكورة أعلاه. المجلة قائمة على "رؤية كبار" تظن أنها قادرة على جذب الطفل إليها؛ بما توافر لها من إمكانات مادية هائلة، وظيفتها في تصوير وإخراج مجلة على درجة عالية من الجودة التقنية، وسلطة أبوية ترى فيها مورداً ثقافياً هو الأنسب لتنشئة الصغار على مبادئه. هذه "الرؤية" هي سبب الإخفاق والانهزامية؛ ذلك أنها أغفلت، أو تغافلت، عن العنصر الأهم في هذه العملية، وهو قبول الطفل لها بدوافع ذاتية من تكوينه الطفولي، وليس لإغراءات خارجية تغصبه على قبولها، وفي ذلك يقول S. Dilidüzgün: "توقّع أن يقرأ الطفل ويستوعب كتاباً وأن يُعصب على حكايته هو بعيدٌ عن "واقعيّات الأطفال" وهو ليس أكثر من توقّعك

عما يمكن أن تجنيه ضرباتٌ سوطٍ في حصانٍ ميت! ^{١٧} وفي هذا السياق، Erkan Çer يُعرّف "واقعيّات الأطفال" أنها "الاختلافات النّطوريّة في طبيّعة الأطفال، نظرتهم للأمور، اهتماماتهم، احتياجاتهم، وسعاتهم الإدراكية واللغوية". ^{١٨} وهي في مجملها متلازمات مع مفهوم "الكتابة بعيون الأطفال" حسب "الفئة العمرية" المنتمين إليها، واستيعاب التغيرات الحاصلة جيلاً بعد آخر.

في الحقيقة، بإمكاننا القول إنّ سبب نجاح الأعمال العالمية وإقبال الطفل "بشغف" عليها مرده إلى توظيف تلك الأعمال لمنهجيات بيّنة تتضافر فيها نتائج نظريات التحليل النفسي (بخاصة تلك المتعلقة بالنمو المعرفي عند الأطفال) مع النظريات الأدبية (الباحثة في بواعث أدبية الأدب)، ^{١٩} ويحقق اندماجهما التفاعل الإيجابي بين الغاية من تلك أعمال ومعيّار النجاح المشار إليهما أعلاه. ^{٢٠} وعليه، فيمكننا تقرير أن المخرج من الأزمة التي يواجهها أدب الطفل في العالم العربي عموماً، والخليج خصوصاً، هو أن يكون الأدب المقدم للطفل منتجاً في ظل وعي بمفاتيحه ومداخلته التي تجعله يقبل على الإبداع الموجّه له برغبة لا بدافع من توجيه كبار. وعليه فالوسطاء خصوصاً بين عملية الإبداع والتلقي، مثل الرّسّامين ودور النشر والطباعة والتوزيع، على دراية بأهمية استيعاب ما تتضمنه النظريات الأدبية من قضايا (مسائل من مثل الخلق والإبداع الفني، التلقي، والتذوق الجمالي) وتطبيقها بفهمٍ واعٍ لما نضحت به الدراسات النفسية عن الطفل واستيعابه في مراحل نموه المختلفة؛ فتمتزج بنتائجهما الجهود الإبداعية الموجهة للطفل (انظر الرسم التوضيحي (١)).



رسم توضيحي ١: عناصر أساسية لأدب طفل ناجح

شهد أدب الطفل في أوروبا نهضة حقيقية منتصف القرن الثامن عشر، وكان من أسباب تلك النهضة كتاب *إيميل أو التربية* للفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (ت. ١٧٢٨م). ومما جاء فيه، ضرورة الأخذ باعتبارات ذات مفاهيم تنظيرية فيما يخص طبيعة الطفل النفسية وما يُعرض عليه من نتائج أدبية، يقول: "إننا لا نعرف شيئاً عن الطفولة، وأحكم الكتاب

يوجهون أنفسهم إلى ما ينبغي للرجل أن يعرفه، من غير اعتبار لما يستطيع الطفل أن يتعلم. ذلك أنهم ينشدون الرجل دائماً في الطفل من غير أن يراعوا ماذا يكون الطفل عفاً قبل أن يغدو رجلاً.^{٢١} هو ينادي إذن بفهم الطبيعة الخاصة للطفل وتطويع خطاب الكبار ليناسب وعي الطفل وقدراته الإدراكية. في هذا الكتاب، الذي كان سبباً لإنشاء نظام تربيوي وطني جديد في خضم أحداث الثورة الفرنسية (١٧٦٢م)، نجد روسو يصرّح: "علينا أن نختار بين صنع إنسان وصنع مواطن؛ لأنه من غير الممكن صنعهما في الوقت نفسه."^{٢٢} هذا قول في صميم أسباب ضعف نتاجات الأدب العربي الهادفة لغرس قيم دينية وتربوية ووطنية قبل اهتمامها بتأسيس منظومة من قيم إنسانية يقوم على دعائمها أي قيم فرعية أخرى. فمعظم الكتابات الأدبية الخليجية تجعل جلاً همّها حشو أدمغة الطفل بمعانٍ وعظية دينية، أو أخلاقية تربوية، أو وطنية حماسية، قبل أن تجعل من همّها الأكبر تأسيس بُنية إنسانية صالحة لتقبل هذه المفاهيم الثانوية.

أدب الطفل وطوق النجاة: علم النفس والتنظير الأدبي

خلصنا أعلاه إلى تشخيص السبب الرئيس لانهزامية نتاجات أدب الطفل في العالم العربي أمام نظيره العالمي هو النظرة الأبوية السلطوية المتحكّمة في إنتاج أدب لا يجعل من همّه الأول تفعيل حاسة التدوق الجمالي عند الطفل يستشعر من خلاله المتلقي الصغير لذة ما ينتج له من أدب. الكبار وذائقتهم، المغلبة للمفيد على الممتع، هي المتشكل في قوالبها هذه النتاجات. وهي بما تتضمنه من نصائح أخلاقية وتوجيهات تربوية وتوصيات بأساليب تنشئة "مباشرة" قاصرة عن استيعاب الكيفية التي "يتلقّى" بها الطفل أنواع الخطابات المختلفة، والطبيعة الواجب أن تُصاغ عليها نوعيات الخطابات تلك، فتكون سبباً في نفوره منها وهروبه لغيرها من نتاجات عالمية، ترد للطفل بوصفه "رمانة الميزان" التي يُقاس بها مدى نجاح النتاجات المصنّفة كأدب موجّه له. أدب الطفل العالمي استوعب مبكراً هذا المعيار القائم على فهم الطفل، ورغباته، وحاجاته ووظف في سبيل فهمها مناهج ببنية، تتداخل فيها علوم مؤثرة ومتأثرة بعالم الطفولة. تقرر ذلك الباحثة Kimberley Reynolds التي تضرب الأمثلة على بعض النصوص الأدبية "التي شكّلت بوعي بعض القصص عن مشكلات الأطفال النفسية ومشكلات التطور"، وتذهب إلى أنّ "من بين الأمثلة الرئيسية على ذلك قصة كاثارين ستور «أحلام مارين» (١٩٥٨)، وقصة موريس سينداك «أينما توجد الأشياء البرية» (١٩٦٣)، وقصة نيل جايمان، «كورا لاين» (٢٠٠٢)."^{٢٣} وتستكمل عن تفعيل نتاجات الدراسات النفسية في القصص: "ومن المثير للاهتمام أنه في كلّ من هذه القصص يدخل أبطال القصة عالم الأحلام/العوالم الثانوية؛ حيث

يواجهون الشخصيات والسيناريوهات المخيفة المستقاة من المشكلات التي يواجهونها في حياتهم اليومية ويتغلبون عليها.^{٢٤} وتتابع الباحثة أن "استحضار مخاوف الأطفال في القصص الخيالية التي يقرعونها وبعث الطمأنينة في أنفسهم، بأنهم سوف يتغلبون عليها، [يمثل] محور إحدى أهم الدراسات حول علاقة الأطفال بالقراءة؛ ألا وهي دراسة برونو بئلهام التي تحمل عنوان «استخدامات السحر: معنى القصص الخرافية وأهميتها» (١٩٧٨).^{٢٥}

في رؤية علاجية للخلل، الدراسة الحالية تستعير "هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية" لعالم النفس أبراهام ماسلو (ت. ١٩٧٠م). في تعريف مختصر بهرم ماسلو للاحتياجات، نجد أن ماسلو أوضح أن النمو السليم للفرد في حاجة لملئه باحتياجات أساسية هي: (الفسيولوجية: غذاء، ماء، هواء... إلخ)، (الحاجة للأمان)، (الحاجة للحب والانتماء)، (الحاجة لتقدير الآخرين) المرتبطة جميعها بحاجات مشتركة بين الكائنات الحية، ثم تأتي الحاجة التي تلغوم وهي (الحاجة لتحقيق الذات) المرتبطة بكيونة الإنسان. ويقرر ماسلو إن سمات احتياجات المراحل التأسيسية تصبح أكثر قوة في إلحاحها على الإشباع كلما زاد زمن تجاهلها (فكلما زاد زمن عدم إشباع حاجة الإنسان من العطش يزيد إحساسه به). أيضا، عدم الإشباع قد تكون عواقبه خطيرة، بل يمكن القول إن من لم تشبع حوائجه هو "مريض نفسيا". أيضا، بالنسبة لماسلو، فالاحتياجات الأساسية ينبغي إشباعها بترتيبها التدريجي قبل الانتقال إلى إشباع حاجات تلغوها في الترتيب الهرمي، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الحاجات متداخلة في طبيعتها وممتدة من مرحلة لأخرى. إذن، باستيفاء الإشباع للاحتياجات، حسب تدرجها الهرمي (بصفتها المتداخلة الممتدة)، تنمو على إثرها احتياجات أخرى، تكون صالحة لأن تُشبع بصفة سليمة.^{٢٦}

على أساس من هذه الاحتياجات الإنسانية نؤسس ههنا خاصا بالمبادئ والمفاهيم اللازم تضمينها فيما يعرض للطفل خلال طفولته بتدرج مراحلها، وأيضا الكيفية اللائقة لعرضها، وقولها من الأنواع والأجناس الأدبية الأنسب لعرضها. هدف الدراسة تكوين مرجعية علمية عن هذه الاحتياجات تساهم في توجيه النتاجات الأدبية بحيث تناسب الفئة العمرية من الأطفال الموجهة إليهم، وذلك ابتداءً من لحظة تأليفها، مروراً بنشرها، ثم تلقي جمهور الصغار لها، حتى إدراك أثرها الذي تتركه في نفوسهم، بعد مغادرتهم مرحلة الطفولة.



الشكل ٢: هرم الاحتياجات المفاهيمية في أدب الطفل

كما نرى في الهرم أعلاه، فإن الطفل، في سني عمره الأولى يمر بمراحل متعددة، لكل منها سماته النفسية وقدراته الإدراكية التي ينبغي مراعاتها عند إنشاء أعمال فنية تخاطبه. نعرض لكل منها بالشرح لمميزاتها، وللملائم طرحه من ثيمات عامة، وتوظيفه من قوالب أدبية، تتوافق وبنيتها المعرفية المتميزة بمراحل نموه المتطورة. علماً أن هذه المراحل متداخلة في احتياجاتها، وممتدة ومتفرعة بعضها من بعض، والتمايز بينها مستند إلى سيطرة إحدى السمات على مرحلة عمرية بذاتها في

احتياجاتها التي يصبح إشباعها بخاصة ضرورة ملحة لنمو صحي، وإلا انقلبت خطرا على صاحبها ومجتمعه، تماما كما هو الحال في هرم ماسلو الاحتياجات الإنسانية.

١- المرحلة التأسيسية:

أ- المرحلة التأسيسية (١)، المرحلة من عمر (٠ - ٩) أشهر: هي ما نطلق عليها مرحلة "الجربا المَحْكَم"؛ لأنها مرحلة التَّقْي السِّلبي لكل ما يُطرح على الطفل من أمور متعلّقة ببناء كينونته النفسية والثقافية؛ فيكون مرنا في تلقّيها حدّ السلبية، طَيِّعا في قبول ما يلقى عليه من معارف دون أدنى مقاومة، بطبيعة المرحلة العمرية الغَضّة. وهي مرحلة يكون فيها تشوّق الطفل الفطري للتعرف على عوالمه الخارجية المادية (بما فيها جسده) في أوجهها.^{٢٧} المناسب من المعارف التي ينبغي أن تدور في فلك هذه المرحلة العمرية هي ما تتوافر فيها الجاذبية في مادتها الخارجية وقيمتها الكامنة. فيُراعى فيها عنصر المادية المحسوسة والقيمة الكامنة. فكما أنّ المرحلة تتطلب احتياجات فسيولوجية في معايير مخصصة (أقصد، الإطعام ممثلا في حليب الأم، الهواء أنقا، وأنظفه، التدفئة المناسبة لبنيته الضعيفة غير المقاومة للأمراض... إلخ)، هكذا هي أيضا نوعية الاحتياجات المفاهيمية اللازمة لنمو إدراكي سليم في مراحله الأولية. ففيها يحدث الانطباع الأول (First Impression) فيما يخص إدراكه "اللاوعي" للعالم المحيط به. وعليه، فينبغي أن تكون هذه الانطباعية متوافقة وتنشئة صحية تراعي مفهوم "التعرف على عوالم جديدة". والسبيل لذلك هو طرح مفاهيم مطلقة عن (الجمال) بخاصة، بحيث تتشكل في قلبها خبراته الأولية الحسيّة التي تتشكل في إطارها معايير الإدراكية الفطرية. فتكون المرحلة التأسيسية الأولى مهمة بتكوين تصوّر "جميل" عن الوجود (العالم الخارجي) في صورته "الأولية". و"الجميل والأولي" هنا لا نعني بهما مفاهيمها "الاصطلاحية" فيما هو متعارف عليه "اجتماعيا"، بل بما هو متعارف عليه "بديهيّا". فيتعرّف على الأرقام البسيطة (١-٩)؛ الألوان الصريحة (الأحمر، الأخضر، الأصفر، الأزرق، الأبيض، الأسود)؛ الأشكال والأحجام الأساسية (مربع، مثلث، دائري) ... إلخ، وذلك من خلال صور (لا نصيّة) يطالعها، أو أصوات تنغيمية يسمّعها، أو مجسّمات لأشكال يلمسها.^{٢٨} فهذه الصياغات الفنية للمعارف الأولية هي "الوسيلة الأمثل لفتح عيني الطفل على ما يتضمّنه الفن من جمال وقوة".^{٢٩} ومقياس أثرها الجمالي نقيسه بما تثيره من /تفاعلات/ في الطفل، سواء كانت تعبيرات تلك الانفعالات ابتسامة ترتسم على محياه من رؤياها، أو وجها عبوسا نافرا مما يُقدّم إليه. فهنا لا يعنينا نوعية الأثر من (انبساط عن سعادة أو انقباض من حزن) لكن حدوثه بحد ذاته هو ما يعنينا؛ لأنه يثبت قدرة النتاج الأدبي المعروض على الطفل على

إحداث أثر في إدراكه نتبين منه الملامح الأولى للذائقة الفنية عند الطفل. هذا التجاوب الانفعالي هو ما يطمح أدب الطفل لتنميته، من خلال تطوير حاسة التدوق الفني التي يتحقق بها متعة جمالية من أثر قيمة معرفية.

طرح قيمة "جمالية" مطلقة في معناها "المعرفي" تكون مدخلاته من خلال فهم لإدراك الطفل المادي في هذه المرحلة العمرية الصغيرة. فيكون طرح الجمالي المعرفي من خلال تواصل مع حواس الطفل الخمس (سمع، بصر، لمس، شم، تذوق). ذلك أنه في مرحلة تطغى فيها رغبته على التعرف على كُنه محيطه من خلال حواسه، فتراه يمسك بيده، ويلتقم بفمه، ويقرب إلى عينيه، كل ما يريد التعرف عليه في محيطه. وعليه، فيكون من المناسب إذن أن تكون طبيعة الصناعة للأدب الموجهة لهذه الفئة العمرية في وسائل لا تعيق تعارفه عليها (بلاستيكية آمنة مثلاً)؛ لأن تفاعل الطفل معها سيصل حدّ القضم بالأسنان. مرحلة التعرف بالحواس المادية ستمثل أول تجارب حياته في عالم القراءة. وبذلك تسهم المرحلة التأسيسية ١ في فتح نوافذ التعرف الأولى على عالم المعرفة، وتهيئ الطفل للمرحلة التأسيسية الثانية.

ب- المرحلة التأسيسية (٢)، المرحلة من عمر ٦ أشهر إلى سنتين: هي مرحلة الحاجة "اللاوعية" للأمان الذي هو ضرورة ملازمة لحاجاته الفسيولوجية لكنها تصبح أكثر إلحاحاً في مرحلة متقدمة عن التأسيسية (١). فالطفل في المرحلة السابقة قد يألف أي شخص يتعرف عليه، لكنه في هذه المرحلة تراه يتعلق بأشخاص عرفهم في المرحلة التأسيسية (١) من حياته، فتكون ألفتهم لغيرهم فيها شيء من الحساسية والمقاومة. لذا هذه المرحلة تحتاج لأن نشعر الطفل بالأمان فيما نقدم له من أدب؛ فتكون ثيماته الرئيسية منبثقة عن مفاهيم متعلقة بـ(الخير) بمعناه المطلق؛ فيها تعارف وتآلف بين الكائنات على اختلاف تصنيفها. فنقدم له التعارف والتآلف هذا مع الكون حوله من خلال صور ألوانها متنوعة (وليست الأساسية فقط)، مصحوبة ببعض الكلمات البسيطة؛ تتداخل فيها طبيعة ثابتة (أشجار، بحار، جبال ... إلخ) مع طبيعة متحركة (حيوانات تتعايش مع بعضها البعض في ألفة وانبساط، أمواج متحركة تلاعب سفينة في لطف، رياح مداعبة لأوراق شجر ... إلخ) عاكسة صورة من التقارب بين مكونات الطبيعة في لاوعي الطفل، تبعث في نفسه طمأنينة وحب للمحيط من حوله. وفي المجتمعات المفعلة لهكذا نمط من التنشئة الأدبية والثقافية ترى الطفل لا يخشى الضواري من الحيوانات أو المنقر منها؛ فيقبل على الفأر مثلاً ويلعب معه بأريحية، وربما يرمي في أحضان كلب

مثلاً، حيث لم يخوَّف منهما. هذه المرحلة إذن هي مرحلة العرض التفصيلي لما تم عرضه إجمالاً على الطفل في المرحلة التأسيسية (١). وفيها يستمر تعزيز التطوير للذائقة الجمالية عنده بموازنة من قيمة الخير. فبينما نعرِّفه على التصنيف للكائنات (إنسان، حيوان، نبات) نلفت نظره إلى مشتركات تجمعهم (رأس، جسد أو جزع، قوائم من أطراف وسيقان) فيحصل التعارف من خلال التآلف وإدراك أن هذا "المشترك" له من الإحساس عند غيره من الكائنات مثل ما يحسه هو (الطفل) حيال جسده. هذا الطرح للمشارك بينه وبين غيره من الكائنات ينمّي (حس التعاطف)^{٣٠} من خلال إدراك للمتماثل من مظاهر الوجود الإنساني ونظيره من مظاهر الوجود للكائنات الأخرى. وعلى أساس من هذا التصور عن "المشترك"، تتسج في الأدب الموجّه لهذه الفئة العمرية قصصٌ عن قيمة حاسة من الحواس المشتركة، الشم مثلاً، عند حيوانٍ ما (قنفذ)، أنقذته من الهلاك، بعد أن تضور أياماً من الجوع، تائهاً في غابة وحده، شرط أن تغلب الصور على السرد في نوعيات القصص المقدمة لأطفال هذه المرحلة العمرية.^{٣١} هكذا عرض نجني ثماره فائدتين: أولاًهما، أنه يعزز جانب الأمان عند الطفل، بتعريفه على أنه ممكنٌ تحقيقه ذاتياً دون الاعتماد الآخرين ولكن بالتعرف على الطاقات الكامنة في ذاته وحواسه وأثرها في تجنبه ضرر يخشاه، وثانيهما، أنه يكشف له المشترك من الطاقات الكامنة (الشم) عنده (الطفل) وعند غيره من الكائنات (القنفذ)، فتنبثق عاطفة "التعاطف" الكامنة في فطرته كقيمة مطلقة، وتتقوّى من خلال هكذا قصص تفاعلية بينه وبين العوالم من حوله.

ج . المرحلة التأسيسية (٢)، المرحلة من عمر ٣ إلى ٥ سنوات: فيها يكون إدراك الطفل "اللاوعي" للاختلافات حاضراً، فيستطيع تصنيف الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات وجماد، ويستطيع تمييز اختلاف أشكالها.^{٣٢} لكن يظل إدراكه للتمايز الداخلي بينها في طور التطور والنمو، لذا تكون حساسيته منها وتعاطفه معها في أوجها.^{٣٣} فهو يتعاطف مع الجمادات (مثل العرائس الصناعية) كما لو كانت تشعر وتحس على الحقيقة؛ فهي في نظره كائنات حية، وإن كان يدرك أنها تتمايز عنه في أنها لا تتكلم أو تأكل أو تشرب. يقول علي الحديدي في مؤلفه المتميز عن أطفال سن الرابعة خصوصاً: "والأطفال في مثل هذه السن تنطق كل شيء، وهم يمنحون الشعور الإنساني لما يحيط بهم، ويغكرون في أن الحيوانات واللعب والأشجار والزهور وحتى الجماد، كالكراسي والمناضد، ليها الدوافع والرغبات مثلهم تماماً."^{٣٤} هذا يعني أن الطفل في مرحلة عمرية يكون فيها خياله في أوج نشاطه. وعليه، فما يقدم لها من آداب عليه أن يراعي هذه الحالة النشطة للخيال، فيغذيها بمفاهيم تهدف لإيقاظ قيمة (الحق) الكامنة في لوعيه. فتكون الثيمة المركزية لما يقدّم له من آداب مبنية على

تصوّر من صراع بين قوى خير وشر، ينتهي فيها الصراع دائماً لصالح الأول. هي مرحلة تصلح لها إذن قصص الجنّيات الطيبات والشريرات، وقصص الحيوانات الناطقة، شرط أن تكون نهاياتها سعيدة مختومة دوماً بعبارة: "وعاشوا في تبات ونبات (happily ever after)"، ونعني بهم الفئة صاحبة الحق بكل أشكاله. ذلك أن خيالهم الواسع لا يستوعب نهايات مأساوية حزينة، تكون فيها الغلبة للباطل على الحق، الذي غالباً ما يرى نفسه في إطاره. تغليب الباطل على الحق فيما يقدّم من أدب لهذه المرحلة العمرية يعيق تحصيل متين للمبادئ الإنسانية التي تؤسس لها منذ نعومة أظفاره (الجمال، الخير، الحق) ومعه أيضاً تحصل إعاقة لاواعية لملكة الخيال عنده التي يصيبها الوهن في تدبير أمر انتصارها للقيم النبيلة على حساب الخسيسة. هي مرحلة لا بد أن يقدّم لها من القصص ما يجاري إلهامها المتدفق القادر على تصديق غلبة الحق أخيراً مهما عظمت قوة الشر أمامه.

وكما كانت المرحلة التأسيسية (٢) هي التي يبدأ فيها استيعاب الطفل "المشترك" بين مختلف الكائنات، فإن المرحلة التأسيسية (٣) تكون فيها قدرة الطفل على استيعاب "المختلف" بينه وبين غيره من الأقران متميزة. فنجده قادراً على إدراك للفوارق الخُلقية للكائنات بعمامة من ناحية كونها صحيحة أو معاقة. وعليه، فما يقدّم له من آداب ينبغي ألا يغفل هذه الحقيقة، فلا نغمض أعيننا عن حقيقة وجود شريحة من الأطفال يولدون أو يتعرضون لحوادث قد تفقدهم التمتع ببعض "المشترك" مع جميع الكائنات وتجعلهم أكثر تميزاً من الغالبية. وفي ضوء هذا "التمايز" ينبغي أن تكون النتاجات الأدبية المقدمة لهذه الفئة معززة لمفاهيم مطلقة عن الحق، يتطور بها ما تم طرحه من تصوّر مبسط لمفاهيم عن الجمال والخير. فمثلاً، يتم تطوير الثيمة السابق طرحها في المرحلة التأسيسية ٢ عن التنفيذ لتكون أسباب استعانتة بحاسة الشم عن النظر هو تعرضه لحادثة ما، جعلت تعويله في بحثه عن الطعام على حاسة الشم تعويضاً عن حاسة أخرى مفقودة، وكانت سبباً في نجاته من الهلاك جوعاً. وهكذا يتفهم الطفل مبدأً وجودياً معقداً جداً متعلق بالحق وأشكال تحقيقه على وجهين: نمطي (فيما هو مشترك بين الكائنات في القوى الحسية)؛ وغير نمطي (فيما تعويض عن مفقود من المشترك). ما يقدّم من آداب إذن في هذه المرحلة ينبغي أن يوقظ حدسهم بخصوص عدالة كامنة وراء النقصان الحاصل. فيكون نقبُّه للنقص على أرضية قوية من الثقة بالنفس: تبحث في مكامن اختلافه (بوصفها من فئة أصحاب القدرات المتميزة)، ولا تركز في نقصانه للمشارك مع أقرانه.

بعد ما أوردناه أعلاه عن ضرورة وسم ما يقدّم للطفل من أدب، في المرحلة التأسيسية من عمره، بمبادئ من الحق والخير والجمال، فالسؤال البديهي الذي يطرح نفسه هنا هو عن قدرة الطفل على استيعابها: هل حقا يستطيع إدراك معانيها؟ للإجابة عن هذا التساؤل نورد مذهب ابن سينا في هذا الخصوص، حيث يقول:

إِنَّ مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدَيْهِ إِحْسَانٌ تَسْمِيَتُهُ، ثُمَّ اخْتِيَارَ ظَنُّهُ (مرضعته) كي لَا تكون حمقاء وَلَا ورهاء وَلَا ذَات عاهة؛ فَإِنَّ اللَّبْنَ يُعْطَى كَمَا قِيلَ. فَإِذَا فَطِمَ الصَّبِيُّ عَنِ الرُّضَاعِ بُدِئَ بِتَأْدِيبِهِ وَرِيَاضَةِ أَخْلَاقِهِ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيْهِ الْأَخْلَاقُ اللَّئِيمَةُ وَتَفَاجِئَهُ الشِّيمُ الذَّمِيمَةُ فَإِنَّ الصَّبِيَّ تَتَبَادَرُ إِلَيْهِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَتَتَنَالِ عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ الْخَبِيثَةُ، فَمَا تَمَكَّنَ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ غَلَبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لَهُ مُفَارَقَةُ وَلَا عَنْهُ نَزْوَعًا، فَيَنْبَغِي لِعَنْمِ الصَّبِيِّ أَنْ يَجْنِبَهُ مَقَابِحَ الْأَخْلَاقِ وَيُنْكِبَ عَنْهُ مَعَايِبَ الْعَادَاتِ.^{٣٥}

حقوق الطفل مقررّة عند ابن سينا منذ لحظة الولادة في اختيار اسم حسن ورضاع يورث البناءة ويقوّي العقل. كما أنّ التعريف بالمثل العليا والأخلاقيات النبيلة لابد أن يبتدئ مع الطعام (١٨ - ٢٤ شهرا) عنده؛ إذ يرى أن الطفل قادر على استيعابها من خلال ما أسماه "رياضة أخلاقية" أشار إلى وسائلها بما أتبعه من قول:

فَيَنْبَغِي لِعَنْمِ الصَّبِيِّ أَنْ يَجْنِبَهُ مَقَابِحَ الْأَخْلَاقِ وَيُنْكِبَ عَنْهُ مَعَايِبَ الْعَادَاتِ بِالْتَرَهيبِ وَالتَّرْغِيبِ وَالْإِيْنِاسِ وَالْإِيْحَاشِ وَبِالْإِعْرَاضِ وَالْإِقْبَالِ وَبِالْحَمْدِ مَرَّةً وَبِالتَّوْبِيخِ أُخْرَى مَا كَانَ كَافِيَا فَإِنْ اِحْتَأَجَّ إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ بِالْيَدِ لَمْ يَحْجَمْ عَنْهُ وَلَيْكِنْ أَوَّلَ الضَّرْبِ قَلِيلًا مَوْجَعًا كَمَا أَشَارَ بِهِ الْحُكَمَاءُ قَبْلَ بَعْدِ الْإِرْهَابِ الشَّدِيدِ وَبَعْدَ إِعْدَادِ الشِّفْعَاءِ فَإِنَّ الضَّرْبَةَ الْأُولَى إِذَا كَانَتْ مَوْجَعَةً سَاءَ ظَنُّ الصَّبِيِّ بِمَا بَعْدَهَا وَاشْتَدَّ مِنْهَا خَوْفُهُ وَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى خَفِيفَةً غَيْرَ مَوْْلَمَةٍ حَسَنَ ظَنَّهُ بِالْبَاقِي فَلَمْ يَحْفَلْ بِهِ.

وبتعديل هذه الرياضة التربوية لتوافق النظرة العصرية لها فبإمكاننا القول إن أدب الطفل قادر على أن يلعب دورا محوريا في نمو نكاء الطفل الإدراكي للمعاني النبيلة من سبيل الخيال. فنصوغ له هذه القيم والمثل بما يتناسب وقدرته الاستيعابية في أسلوب عرض شيق. كيفية الطرح، إذن، هو ما ينبغي أن يكون مثار تساؤل، وليس القيم والمثل بحد ذاتها. وهو طرح يتطلب قوالب من عوالم خيالية لجنيات وحيوانات ناطقة تفنّن إدراك الطفل الفطري لقيم نبيلة بتفاعله معها بملكته الخيالية التي تكون في أوج

نشاطها، كما أوضحنا أعلاه. وفي هذا السياق يقول الباحث في تعريفه لأدب الطفولة: "هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار [...] فهو نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمرحلة الطفولة، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل".^{٣٦}

في سياق التعامل الأدبي الرصين مع مرحلة الخيال النشط ذي المدخلات الحسية الصريحة عند الطفل قد يكون توظيف نظريات تتعامل مع الخيال هي السبيل الأمثل لفهم أعمق لأدبه. فنصوغ من الأسئلة، مثلاً، ما يهتم بحدود ملكته، هل هي مستقلة أم غير مستقلة في كونها جزء من ملكات استيعابية أخرى للعقل، كما يقرر ذلك كانط؟ وطاقتاه الاستيعابية، هل هي أولية أم ثانوية، كما قررها كولريدج؟ والمخزون الذي يبني منه تصورات، هل هو من اللاواعي الفردي الجنسي، كما قرره فرويد، أم اللاواعي الجمعي وأنماطه العليا كما قرره كارل يونج؟ وإن كان يستقيه من هذا الأخير فما هو مصدر هذه الأنماط العليا مع قصور الخبرة الحياتية عن تزويده بها؟ هل استمدتها من عوالم المثل الأفلاطونية؟ وإن كانت مستمدة من تلك العوالم، فما صورتها التي يطابق بها الطفل ما يسمع من خيال قصصي مع ما يتراءى في مخيلته عنه؟ وغيرها من الأسئلة ذات الصلة التي نضع في إطارها تصوُّراً عن إدراك الطفل لما يعرض عليه من أدب، ونرسم في دائرتها ما يناسب آلة مخيلته المنطقية لخيالات الإبداعية (نصيّة كانت أو مرسومة أو مصوّرة أو مُغنّاة أو مجسّمة) ما يجذبها إليها. وهكذا يكون التداخل بين الفهم النفسي والتتظير الأدبي مثمراً فيما يخص الممتع والجانب للطفل في أدبه.

٢ - الحاجة للانتماء:

المرحلة التالية على التأسيسية تكون فيها حاجة الطفل (٤ - ٩ سنوات) للشعور بالانتماء لجماعة ومكان مخصوصين في أوجها. اكتمل الآن تعرّفه على الهيكل الرئيس من محيطه الخارجي الكبير: (إنسان، حيوان، نبات، جماد)، وإشباعها ينقله بأمان لدائرة أضيق لكنها أكثر أهمية في تأثيرها على تكوين بنية نفسية سوية. ونقصد بهذه "الدائرة الأضيق" الأسرة، ودوافعه لمعرفة نمط العلاقة التي يرتبط بها منبثقة عن رغبة ملحة في التعرف أكثر على ذاته (هويته) من خلال معرفته للكيان الوجودي الذي ينتمي إليه. في سني عمره التأسيسية اغتنم الطفل فرصته المتاحة للتعرف على جسده "كيانه الخارجي" من خلال المشترك والمختلف من جسده مع غيره من الكائنات. والآن هو في مرحلة "متعالية" عن السابقة يريد فيها أن يعرف "كينونته" ليكتمل تعرّفه على نفسه. بناءً على ذلك، فالقصص ذات الثيمة العريضة عن شبكة العلاقات بين أفراد في جماعات (صديقة ومعادية) لتكوين تصوُّر عن محيطه الذي ينتمي إليه تكون لها أهميتها وجاذبيتها في إثراء جانب التواصل مع محيطه

في مرحلته العمرية هذه. نوعية القصص على أسنة الحيوانات خصوصا أو الخليط من شخوص حيوانية وإنسانية تربط بينهم علاقات مختلفة لها مذاق خاص عند هذه الفئة العمرية من الأطفال، الشغوفة بمسألة الانتماء. فقصص عالمية من مثال: *أليس في بلاد العجائب*، *ليلة والذئب*، *الدببة الثلاثة*... إلخ) تبقى "خالدة" لأنها تبقى مناسبة لأجيال متعاقبة، يروق لها هكذا نتاجات أدبية؛ لأنها تراعي "واقعياتهم" المخصوصة بمراحلهم العمرية.

هذا الشغف يكون في مراحل الأولى موسوما بالبحث عن جماعة مخصوصة ينسب نفسه إليها، يليها شغف من نوع آخر يهتم بالأمكان أكثر من الشخوص. لذلك فمرحلة ما بين (٤ - ٧ سنوات) يكون حرص الطفل على التعرف على هويته من خلال الجماعة التي ينتمي إليها متمثلا في أسئلة ملحة وحرجة يطرحها على المتولين لرعايته من نوعية: أنا، من أين أتيت؟ كيف أتيت؟ أين كنت، قبل مجيئي إلى هذا العالم؟ ويتمثل أيضا هذا الشغف في حفظ الطفل لاسمه واسم عائلته كاملا، وترديده له في عدة مناسبات؛ وأيضا في إبداء رغبته في أن يكون له أخوه (إن كان وحيدا)، وغيرها من التصرفات التي تحكم سلوك المرحلة العمرية لهذه الفئة من الأطفال. وفي ضوء هذا الشغف بالهوية ينبغي أن ندرك أن ما يحتاجه الطفل الآن هو نوعية خاصة من الأدب توجه مسار إدراكه لكيثونته توجيهها صحيا؛ يعينه على إدراك صحي لماهية هويته، لتكزن وثقة وغير مهتزة في ذاتها. وعليه، فينبغي أن ننتبه إلى أن النتاجات الأدبية في عرضها لقصص العلاقات بين الجماعات والأفراد ينبغي أن تتنوع في عرض نمط العلاقات الأسرية المختلفة، ونقصد تحديدا: *النوعية المتكونة من (أب، أم، أخوة)؛ الممتدة (الأجداد، العمومة والخوولة)؛ البديلة (أبناء الرثائب، الملجأ)؛ بل هي في العالم الغربي وصلت حد تضمين الأسر المثلية، كما نجد في قصة هيزر لها أمّان (Heather Has Two Mommies, 1989)، للكاتبة ليزلي نيومان (Lesléa Newman) وقصة أبي ورفيق حبرته (Daddy's Roommate, 1990) للكاتب مايكل ويلوويت (Michael Wilhoite).* بالطبع، هكذا قصص لا تحبذ بعض المجتمعات في العالم العربي لها وجودا بين أيدي صغارها؛ لتناقضها والمبادئ الدينية والعرفية لمجتمعاتهم المتحفظة. لكن ذكرت هنا في معرض المقارنة مع نوعية الفئات المخاطبة في أدب الطفل الغربي، في مجتمعات أقرت دولها المثلية رسميا في قوانينها، فيأتي أدب الطفل عندها معالجا لما قد يسببه هذا التسنين لهكذا قوانين من لغط في فهم الطفل لهويته، يصعب عليه تقبله في سني عمره الأولى؛ لما سيراه من اختلاف بينه وبين الأغلبية من أصدقائه فيما يخص التكوين الأسري الطبيعي، فيساعده الأدب على تجاوز غربة نفسية عند مقارنة

أبويه المتلبين مع آباء غالبية أقرانه الطبيعيين، فيكون دوره حيويًا في حدّه من الاختلالات النفسية جراء معاشة أوضاع يجهل كنهها، نتيجة قصور إدراكه ومحدودية تجاربه.

والأدب أيضًا عليه أن يأخذ في اعتباره الفئات المهمشة اجتماعيًا، خاصة من يُطلق عليهم جهلا (أطفال الشوارع). وفيما يتعلق بهذه الفئة، وجه الخصوص، فعلى الأدب أن يعالج ما سببه المجتمع من تشويه لنفوس المنتمين له، بسبب التسمية الكريهة، من خلال قصص ضاربة في صميم البراءة التي يتحلّى بها إدراكهم العمري في مواجهة علاقات شريرة وظروف مأساوية شبيهة بتلك التي ألقت بهم في الشوارع؛ شرط أن يجعل الغلبة دائمًا للبراءة فيما يعرضه من مواقف مثيرة للشفقة يمر بها شخوص القصة، ممن يتماهى معهم أطفال هذه الفئة. فيكون تصوير مستقبل مشرق ينتظر المعتصم منهم بقوى الخير الكامنة في نفوسهم، عند مواجهة الشر الخارجي، حافظًا على الخروج من أزمتهم النفسية، ومفعلاً لقوى التسامح في داخلهم التي تساعدهم على التعايش مع مجتمعٍ أنكرهم وهمّشهم. وهنا لابد من التوجيه أيضًا إلى أن الأدب وحده لا يستطيع تفعيل قوى التسامح هذه حال لم يلقَ الطفل تصحيحًا لأوضاعه من ذات المجتمع؛ فيحتويه قبل أن يتحول الطفل من هذه الفئة إلى عبء ثقيل قد يشكل خطورة حقيقية على مجتمعه.^{٣٧}

الموتيفات التي تصلح لبناء نتاج أدبي يخاطب هذه الفئة العمرية، باختلاف هوياتها، متنوعة ما بين الحياة والموت، الزواج والانفصال، الاحتضان من أبوين واليتم واللُّقطة، وغيرها من الموضوعات مفتوحة الأفق. إذن، ليس المهم هنا نوعية الموتيفات التي ينبغي تقديمها لأطفال هذه المرحلة العمرية، بل الكيفية التي تقدّم بها. ومعنى التعويل على الكيفية التي ينبغي أن تعرض بها أن تكون مساهمة في تنشئة صحية للطفل؛ فيجد فيها مشكلاته، وتُطرح لها حلول، للخروج منها في إطارٍ من واقعية "مُعاشة" ومحدودية من خيال "منشود". فما تطمح إليه نفوس الصغار في هذه المرحلة هي قصص يجد فيها الطفل نفسه: مشكلاته، طموحاته، رغباته، ومخاوفه. فتكون عونًا له على تفهّم نفسه وتفهم الآخرين أيضًا ممن يقيم معهم روابط من علاقات مختلفة. وهذه المرحلة أيضًا ينبغي فيها طرح قصص توضح التمايز على أساس جنسي (ذكر، أنثى، أو ما بينهما)؛ لأنها جزء من مساعدته على فهم اختلافه مع الآخر المختلف فسيولوجيًا عنه، وليس فقط عُمرًا (كما هو حال قصص العلاقات الأسرية)، وأيضًا قصص عن الصداقة بين الأقران.

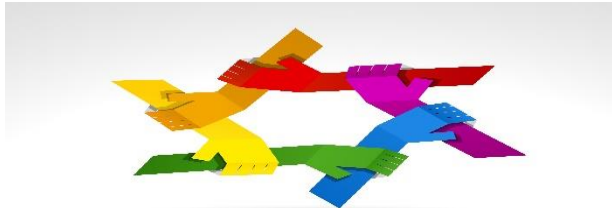
هنا علينا أن ندرك أثر التعاقب الزمني في اختلاف ذائقة الأجيال. فما كان يروق جيل الآباء من نتاجات أدبية ليس بالضرورة له أن يروق جيل الأبناء. وقد يستغرب جيل الأسلاف أن خلفهم لم يعودوا يستمتعون بقصص مصورة أو مرئية كانت شاغلة الناس ومألوفة الدنيا وقت عرضها الأول في زمن الآباء. فجيل الآباء العاشق لجراند/بزر، عدنان ولينة، الكابتن ماجد، مثلاً، سيستغرب كيف أن هذه الأعمال لم تعد جاذبة لجيل أبنائهم كما كانت جاذبة لهم، وأنهم - جيل الأبناء - يفضلون عليها مسلسلات، من مثل: سبونج بوب، فروزن (ملكة الثلج)، وعالم جمبول الرائع التي ربما لا يرقى بعضها - في نظر الآباء - لجودة ما شاهدوه من أعمال زمن الصبا. لكنه عامل الزمن المتحكم في تغيير ذائقة الجمال من جيل لآخر هو ما يجب أن نقدّر هنا عند حكمنا على هذه الأعمال. وبناءً عليه، فهذه المرحلة من عمر الطفولة خصوصاً، والمرحلة التي تليها، ينبغي أن يصاحبها "إنتاج نشط" لألب الطفل، يتناول المشكلات المتجددة مع تجدد الأجيال، ويواكب ما يستجد على مجتمعاتهم من تطور حضاري، ويوافق بين جيل الماضي والحاضر بتبان أهمية كل منهما للآخر وأنهما كفتاً ميزان واحد؛ لا غنى لأحدهما عن الآخر. وفيما يخص ضرورة مجازة كاتب الأطفال لمستجدات العصر، يقول كاتب الأطفال المعروف يعقوب الشاروني: "كاتب الأطفال، أو الكاتب بشكل عام، لابد أن يعيش عصره، يعيش التطورات التي تجري في عصره، إذا لم يدرك الكاتب التغيير الذي يحدث في مجتمعه والقضايا التي يهتم بها المجتمع اعتقد انه سيتخلف كثيراً عن القارئ".^{٣٨}

٣ - الحاجة لتقدير الآخرين (الذات في عيون الآخرين): في مرحلة متأخرة من مرحلة الحاجة للانتماء (تحديداً، ٨ - ١٢ سنة)، سيتنامى عند الطفل شغف لفهم انتمائه المكاني، وليس الفسيولوجي أو الجيني فقط، كما كان حاله في مرحلة مبكرة من طفولته.^{٣٩} وهذه الحاجة لفهم هويته "العرقية والمكانية" متداخلة مع حاجته لتقدير الآخرين. فإحساسه بذاته وقيمتها من خلال عيون الآخرين ونظرتهم له، بالسلب كانت أو الإيجاب. مقترن إلى حد ما بانتمائه العرقي والجغرافي. ولذا، تصبح مسألة "الهوية" هي شغله الشاغل؛ لأنه الآن في مرحلة واعية من صحبة يجمعه بهم مكان آخر غير المنزل (أعني المدرسة، أو مكان كسب رزق في المجتمعات الفقيرة). هي إذن مرحلة يجد الراعي له مهتماً بتوثيق أوراق تبوتية يتم قبوله بموجبها في مدرسته (أو عمل يتكسب منه)، أو يجد نفسه في مجموعات يربط بينها ثقافة ذات صلة بلون البشرة أو مكان الانتماء. هناك إذن ارتباط يلحظه بين هويته والمكان الذي سيقضي فيه جزءاً من يومه بعيداً عن أهله، ويلتقي فيه بأقران يتحدثون أيضاً عن انتماءاتهم العرقية والجغرافية. لذا، فقصص الرحلات التي يطلع فيها الطفل على ثقافات مختلفة

ويستمتع بما فيها من ميزات تتشابه مع أو تختلف عن بيئته المنتمي إليها بالصلة العرقية والجغرافية تفتح أفقه على معنى واسع للهوية؛ فلا تحصره في لون بشرة معين أو منطقة جغرافية محددة. أيضا قصص المغامرات التي يجد طفل هذه المرحلة نفسه فيها مضطرا للمواجه مع عوالم جديدة عليه (مثل "طرزان" و"ماوكلي"، وما يقوم به من مواجهة مع وحوش، ويصارعان من غرائب وعجائب) تنطوي على فائدة عظيمة في توسيع مداركه عن عوالم مجهولة، وتعزز فهمه عن اختلاف الهوية ومفارقاتها التي تنبثق من مواجهته لأماكن غير مألوفة.

أيضا مما يوافق حاجة الطفل للتقدير من قبل الآخرين التي تكون ملحة في هذه المرحلة العمرية، تقديم أعمال فنية أدبية مستمدة من التراث الثقافي للشعوب المختلفة. فهي تناظر في أهميتها دور الأسرة بأنماطها المختلفة؛ بما تسهم به في بلورة تصوّر إيجابي عن الذات مستمد من صلته بماضي عريق يستحق تقدير الآخرين. قصص التراث الشعبي، إذن، يصبح عرضها ضرورة ملحة على أطفال هذه المرحلة لتوثيق صلتهم بماضيهم، وتعزيز ثقفتهم بأنفسهم، وتوسيع مداركهم فيما يخص جماليات الهوية الثقافية ممتدة الأفق المضادة للهوية ضيقة الأفق.

الأفق الضيق في تصور الهوية سيتطور لاحقا إلى عنصرية مقيّنة ينغلق فيها الفرد على هويته، ولا يسمح لأحد بالمساس بها، بينما هكذا قصص تجعل أفقه مفتوحا في تقبل هويات الآخرين. أيضا الأفق الضيق في النظرة للهوية (من زاوية الأفضل والأسوأ) قد ينشئ طفلا معقدا، إذا كان من الأقلية في مجتمع أغليبيته من هوية مخالفة. الأدب عليه التعرض لمشكلات خاصة بالهوية وضيق أفقها، ومعالجتها بطرح حلول تبث روحا من التسامح والتقارب والألفة بين الفئات المختلفة من أفراد المجتمع. وفيما يخص هذه النقطة تحديدا، فنحن نجد تفاوتنا كبيرا في الطرح الأدبي لها عند كل من العرب والغرب (أوروبا وأمريكا تحديدا). ولنأخذ مثلا توضيحيا على ذلك فيما نراه من طرح تصويري لثيمة التعاون بين أفراد المجتمع في الشكل ٣:



شكل ٣: تصوّر لثيمة "الأيدي المتسابقة" معتمد في مفهوم أدب الطفل
عالمي (الأوروبي والأكريكي) - الحقوق محفوظة VectorStock

ثيمة الأيدي المتشابكة التي يمكنك أن تراها أعلاه باختلاف في ألوانها في نتاجات لأدب طفل عالمي (أوروبي، أمريكي) وما تنطوي عليه من تآلف بين مجموعات بشرية ذات خلفيات عرقية أو إيديولوجية متعددة، تحفز في اللاوعي الجماعي للطفولة فكرة تقبل الآخر، والتسامح معه، والانفتاح على ثقافته المختلفة، مع قبول وترحيب بتلك الاختلافات، والنظر إليها على أنها إيجابيات تتكامل بها صورة بانورامية للثقافة الإنسانية.

هذه التّصور عن الأيدي المتشابكة، وما ينطوي عليه من فهم لقيم نبيلة، حاول العالم العربي تقليده في شكله الخارجي فقط، لكنه ابتعد به عن مضمونه، بل حاد به إلى نقيضه. نظرة في الصور التالية قد تعزز فهمك لما أقصده:



الشكل ٤: مجموعة صور لثيمة "الأيدي المتشابكة" كما تصوّرها العالم العربي

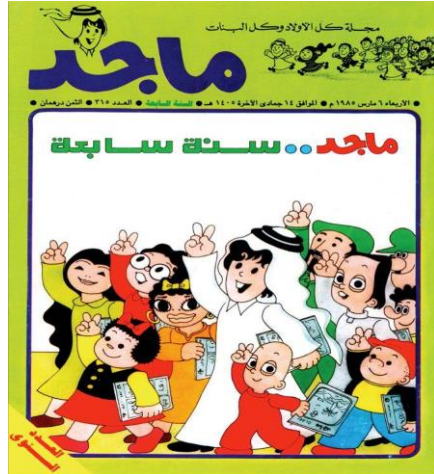
الفرق الجوهرى بين ثيمة الأيدي المتشابكة العربية والعالمية هو في أنها تبعث على تمصّر الهوية في قطر جغرافي ضيق، تتشابه فيه أيدي المنتمين له بالهوية الوطنية، وتتغلق عن غيرهم من المختلفين جغرافيا (وبالقياس، عرقيا، وإيديولوجيا أيضا). هذا الانغلاق على الهوية تؤكد صورة أعلام لدول بعينها (مصر، السعودية، اليمن، وسوريا، على توالي عرضهم أعلاه)، وهي أعلام تشكل محور دوران للأيدي المتشابكة حولها. كما أن ما يزيد من ضيق أفق ثيمة هذه الأيدي المتشابكة، بنسختها العربية،

هو أحادية لون الأيدي؛ فهي غير مظهرة لتعدد عرقي يضم عديد من الأجناس المختلفة في ألوان بشرتها، رغم كونها شريحة أصيلة من قماشة تلك المجتمعات. وهي بذلك تتناقض إيديولوجيتها المستندة دينياً إلى توجيهات من مثل قوله تعالى: ﴿لِأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (القرآن: الحجرات، جزء. ٢٦، آية. ١٣)، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القرآن: الروم، جزء. ٢١، آية. ٢٢). إظهار التمايز غير الصحي، وضيق الأفق، والانغلاق الفكري، والتمحور حول الذات، وعدم تقبل الآخر، هو ما يفهم من ثيمة الأيدي المتشابكة في نسختها العربية. وهنا مكمن الخطورة فيما يتصل بما يعرضه أدب الطفل عن مفهوم "المواطنة" في المجتمعات العربية صاحبة هذه الإيديولوجية في التوافق على الهوية.

هذا الفهم للتوافق على أساس الانتماء الجغرافي لجماعات يربطها خيط من التناغم أحادي الهوية، لا مجال معه لدخول مختلف، هو ما يفرق مجلة ماجد المنتجة لأطفال جيل الألفية الثالثة الميلادية (أو، بالأحرى، لأطفال الخليج العربي عموماً، ومجتمع الإمارات خصوصاً)، عما كانت تنتج في أعدادها الموافقة لحقبة الثمانينات من القرن المنصرم، وهي الحقبة التي شهدت الذروة في نجاحات المجلة لمخاطبتها جمهور من أطفال الإقليم العربي بعامة.



الشكل ٦: صورة غلاف مجلة ماجد من



الشكل ٥: صورة من غلاف مجلة ماجد من أعداد السنة ١٩٨٥
أعداد سنة ٢٠١٩

هذا التّوجه يتضح جليا بالمقارنة بين صورتين من غلاف المجلة: قديمة منتجة في العام (١٩٨٥)؛ وحديثة منتجة في العام (٢٠١٩). فيهما نلاحظ اختلاف واضح في معنى الفهم لهوية العربي. فالأولى الكل فيها، ذكرا كان أو أنثى، يسير جنبا إلى جنب في تآلف ومحبة وتوافق بين إيديولوجيتهم، يدل عليها اتفاق إشارة "الحظ الجيد" المعقودة بأصابعهم، رغم اختلاف أعراقهم التي تبرزها ملامحهم الجسدية، وتتوع أزيائهم التي يرتدونها. الثانية، على نقيضها؛ الهوية بمفهومها الضيق هي المسيطرة على صورة الغلاف. فالأولاد يلبسون الزي الخليجي (بخياطته الإماراتية المميزة في حياكة رقبة الثوب بصورة ينفرد بها عن أثواب بقية الدول الخليجية، وعباءات وفساتين من تراث إماراتي للبنات). هي لم تعد إذن مجلة للطفل العربي، بل الخليجي عموما، بل ربما ضيّقت أفقها أكثر لتكون للإمارتي خصوصا.

صورة الغلاف الأولى التي نرى فيها عددا من الشخصيات تنبئ مظاهرها عن روح من التآلف تسودها تعددية عرقية، بالضرورة لم يفهم الأطفال حينها عمقها لكنهم وجدوا أشباههم في كل شخصية من شخوصها المختلفة في مظهرها الخارجي. بينما الطرح لمفهوم الهوية نجده يضيق في أعداد الألفية الثالثة الميلادية للمجلة، فتضيق عن أفق القومية والعروبة وتتحصر في الخليجية بعامة بل الإماراتية خاصة. "الخطأ" هنا ليس في فكرة عرض مفهوم "المواطنة" بهذا الشكل من الأفق الضيق، لكنه يصبح "خطيئة" بالنظر في اختيار طرحها بهكذا ضيق في الرؤية إلى الأطفال بمختلف أعمارهم، كما تقرر ذلك المجلة في موقعها،^{٤٠} بينما هم في سني عمرهم المبكرة بحاجة إلى أن تتفحّ مداركهم على ثقافات أخرى في نمط من التآلف، فتسمح بتقبل الآخر المختلف، قبل أن يستقر فهمهم على ثقافتهم الخاصة.

ربما أمكننا إذن أن نعزو سبب الشهرة والحظوة التي نالتها المجلة في ثمانينات القرن المنصرم إلى انفتاح أفق أصحابها على تقديم القيم المتوافقة وأفق منفتح على فهم الطفل العربي عموما من المحيط إلى الخليج. وبالمقابل بإمكاننا أيضا أن نعزو أسباب إخفاق تلك القصص، وهي في أوج نجاحاتها (فترة الثمانينات)، عن اللحاق بنظيرتها العالمية، إلى هذا الحصر لمفهوم الطفولة في مناطق جغرافية بعينها من القطر العربي خصوصا. أدب الطفل يضيق بهذه المفاهيم التي تحصر نطاقه في بيئات محدده؛ ما يُنتج أدب الطفل لابدّ أن يستوعب أن شريحة جمهوره تتسع لتشمل "الطفل" أيّا كانت خلفيته الثقافية أو العرقية، أو انتماؤه الجغرافية.

٤ - المرحلة الحرجة: هي المرحلة "البينية" (١٣ - ١٦ سنة) التي نعني بها توسط إدراك الشخص لذاته من خلال "العلاقات المتبادلة" بينه وبين أقرانه على الخصوص. وهي المرحلة التي يتبلور فيها وعي الطفل بذاته "كشخصية" ما بين مستقلة وتابعة للآخرين. وأكثر ما يثير قلقه فيها هو اكتشافه للتضارب الحاصل بين ما اكتسبه من مفاهيم نبيلة (الحق، الخير، الجمال) وبين الواقع النقيض لها. في هذه المرحلة سينجذب الطفل خصوصا لأحد نوعين من القصص: القصص التي توظف تقنية "التماهي" فتعرض لمشكلات يعايشها وأزمات يمر بها في دائرته: الضيقة (الأسرة) والواسعة (المجتمع) بصورة واقعية أكثر مما كانت عليه قصص المراحل السابقة؛ والنوع الآخر هو الذي يأخذه بعيدا عن همومه وواقعه بكل ما فيه من مشكلات يقف بضغفه عاجزا عن حلها، كالأساطير والملاحم الدرامية والخيال العلمي. هو في مرحلة متذبذبة بين نقيضين على مستوى الإدراك الواعي المعاش لواقع لا يرى فيه جمال ما اكتسبه من قيم نبيلة تخزنت في لا وعيه. لذا فعرض نوعين من القصص الواقعية والأسطورية يتوافق ومرحلة التطرف في النظرة للأمور بين خير وشر، جميل وقبيح، أبيض وأسود، وواقع وخيال. وكما يقول البحث محمد حسن بريغش، فإن "كتب التراث العربي والإسلامي فيها الكثير من الحكايات والقصص - إضافة للشعر - التي يمكن إدراجها ضمن أدب الطفل، شريطة إخضاعها لظروف عصرها وطبيعته وقيمه وعاداته".^١ ويعطي إباحث أمثلة للاقتباسات من كتب تراثية مثل: البيان والتبيين للجاحظ، جمهرة نسب قریش للزبير بن بكار؛ بلاغات النساء لابن أبي طاهر، عيون الأخبار لابن قتيبة... إلخ. أدب المرحلة يعرض للطفل بوضوح الفرق بين ما هو واقعي فعلا وما بين ما هو خيالي أسطوري، ويبين إمكانية التوفيق في استيعابهما؛ بوصفهما عنصرين يكمل أحدهما الآخر. فالواقع بما فيه من مشكلات وأزمات "يتماهى" معها الطفل في مرحلة المراهقة، يعاضده في طرحها خيال مستجد (قصص حديثة تواكب التطور) يختلط في وعيه بخيال تستدعيه فترة الطفولة المبكرة (قصص الجنيات، قصص الحيوان... إلخ)، ومكتسباته عن القيم الإنسانية الثابتة، فيكون لأثره مخرجا من ضيق الواقع، ويفسح لأفق مفتوح باستيعابه أو التحرر منه مؤقتا.

من جميل ما مرَّ عليَّ من تجربة شخصية بهذا الخصوص، أنكره من إحدى محاضراتي التي طرحت فيها سؤالا على طالباتي في مرحلة البكالوريوس عن أكثر القصص التي قرأنها في سني الطفولة وأثرت في كلٍ منهن بشكلٍ أو بآخر. ومما جاعني من الإجابات اللافتة ما قالته إحداهن عن حبها الشديد لسندريلا وأنها أكثر ما أثر فيها من قصص الطفولة. وقفت الطالبة في إجابتها هنا دون أن تحدد نوع الأثر. فأثار انتباهي أن الفتاة كانت ذات ملامح جميلة، تميزها عن قريناتها في الصفِّ

وتشبه سندريلا إلى حدٍ، فخطر لي أن أستكمل الحديث معها، فقلتُ لها: "نعم، ووالدك بالضرورة متزوج بأخرى غير والدتك، وأنتِ لستِ على وفاق مع زوجة أبيك، صحيح؟" نظرت لي الفتاة في تعجبٍ على قدرتي اكتشاف جانب من حياتها لم تخبرني به قطُّ من قبل، ورثت: "نعم، صحيح!" فقلتُ لها: "إن ما أعجبك في القصة هو أنَّها لمست جانباً من واقعك، وربما منحك سبيلاً في التعامل مع زوجة والدك، بطريقةٍ لا تغضبني بها والدك منك؟" فاكثفت بالقول: "أنا أحبُّ والدي جداً." ^{٢٢} التماهي هنا مع سندريلا ووضعها المشابه لوضع الطالبة كان العلاج الذي خفف على الفتاة حالة من المعاناة عاشتها (أو ربما تخيلت أنها تعاشها بالضرورة مع زوجة أبيها؛ لتوافق حالها مع سندريلا).

وأيضاً من الإجابات اللافتة الأخرى ما ذكرته طالبة أخرى (اتسمت بالوداعة والهدوء منذ ابتداء المحاضرات) عن أن قصة جميلة والوحش هي أكثر القصص التي أعجبتها وما زالت تعاود قراءتها بين الحين والآخر. أيضاً الفتاة لم تستكمل الرد، فما كان مني، بعد أن رشق سهمي في المحاولة الأولى مع فتاة سندريلا، إلا أن أستحث الطالبة هنا على ذكر نوعية الأثر بالإشارة إلى أنه "ربما إن كان أثرها في تقضيلك لشاب ترين أن محاسنه الداخلية المتأتية من أخلاقيات نبيلة تغلب بالضرورة وسامة شابٍ قد يكون لا يوافق مخبره مظهره!" فجاءت إجابتها بسكوت، ولحمرار في الوجه، وابتسامة عريضة على محياها، بما ينبئ أن سهمي أصاب الرشق للمرة الثانية على التوالي. ^{٢٣}

الجميل في هكذا تجارب حية عن أثر القصص المقروءة في مرحلة الصغر هي أنها كاشفة عن عمق هذا الأثر في تنشئة وتكوين الشخصية الإنسانية على المدى البعيد. بالضرورة لم يكن إدراك الفتاتين واعياً بما تركته القراءة لهاتين القصتين اللتين توحدتا مع تجاربهما إلى أن اكتشفنا أن قراراتٍ مصيرية في حياتهما يتم اتخاذها استناداً إلى معايير حكم مختزنة في اللاوعي المعتمل من أثر هاتين القصتين عليهما. الوقوف على هذه النقطة يستدعي ما ذكره ولفغانغ آيزر (Wolfgang Iser) عن "أثر الإبداع" في كتابه *القارئ الضمني*، حيث يوضح أن هناك حدّي قطبين في النص الأدبي: "الفني وهو ما يُعزى للنص الذي أبدعه المؤلف؛ والجمالي وهو الاستيعاب المنجز من خلال القارئ." وأنه في مكانٍ ما بين القطبين يوجد "العمل الأدبي" الذي يخلقه القارئ بقراءته أو إدراكه. ^{٢٤}

أن يجد الطفل أثراً لأعمال إبداعية تعرّف عليها هو فيصل في تقييم نجاح هذه الأعمال أو إخفاقها، لا جدال في ذلك. وأيضاً التماهي في هذه الأعمال مع جمهور "الأغلبية" هو معيار آخر لنجاحات

هذه الأعمال لا جدال فيه بين جمهور الدارسين لأدب الطفل ومعايير تقييمه. لكن التماهي مع جمهور "الأقلية"، بمفهومها عن الفئات المهمشة؛ كباعث على إدراك معاناتها من خلال التفاعل مع معاناة بطلها هي ما يمثل مسألة خلافية بين المهتمين بأدب الطفل. فبعضهم، على سبيل المثال، ينتقض عرضها مجادلاً:

أحد جوانب القصور للعديد من الكتب [للأطفال]، هو تأكيدها على موضوع أن تكون متماهية مع، ووثيقة الصلة بفئة الأطفال من عامة المجتمع فقط. وهو ما يشعر معه العديد من الأطفال من أصحاب البشرة السمراء[مثلاً] أن هذه الكتب لا تمثلهم؛ لبعدها عن نطاق تجاربهم اللصيقة بهم [...] التماهي بالنسبة لصغار القراء من أصحاب البشرة السمراء يكمن في معرفة للشخصية المركزية في القصص بحميمية بالأقلية السمراء [وهمومها].^{٤٥}

لكن، على النقيض من هذا الرأي، نجد الناقد البريطاني روبرت ريسون يرى أن هذا النوع من "التماهي" لا ينطبق على رغبة الأطفال من فئة الأقليات (بمعنى المهمشين اجتماعياً، بأي معنى: أصحاب البشرة السمراء، أبناء المهاجرين، أصحاب إعاقات، من طبقة دنيا في المجتمع.. إلخ)، فيقول: "الطفل المصنّف من طبقة عاملة لا يريد فقط أن يقرأ عن نفسه [من خلال بطل يماثل شخصية] بل يرغب في الهروب لعالم مختلف من خلال القراءة [...] فيفر منه لمتعٍ وانفعالاتٍ بديلة".^{٤٦}

جدلية "التماهي" إذن هي في حد ذاتها مذاهب في الكتابة للأطفال: ما بين واعٍ بها وراغب في تضمينها عند مخاطبة الطفل؛ وما بين متغاضٍ عنها في سبيل الأخذ بيد الأطفال إلى عوالم مختلفة عن واقعهم وما فيه من معاناة. وأياً كان المذهب المعتقد هنا، فما ينبغي الإشارة إليه هو أنه لا بد أن يكون الطرح لما يرد توجيهه من خطابات للطفل معززاً لـ "إدراك صحي" عند الطفل لوجوده والمحيط حوله. فتكون هذه الخطابات مُصاغة في إدراك واعٍ للمفاهيم وقابليتها وكيفية الطرح، ولقدرتها على التأثير في جمهورها المستهدف. وعلى رأس قائمة هذه المفاهيم تأتي "المواطنة" لتكون مُصاغة بتقهم لمرحلة التذبذب في شخصية المراهق ما بين المستقلة بذاتها عن غيرها يوماً، والتابعة لآخرين

أياماً أخرى؛ فلا تشد حبل الطرح لها بما تكون عواقبه شوفينية لا تُحمد عقباها؛ ولا ترخيه فتصيب هويته بخللٍ يترك آثاره عقدٌ نقصٍ يعانيتها أمام أقرانه من أصحاب الهويات المختلفة.

وكما أن جدلية "التماهي والتّوحد" فيما يخص الموضوعات التي يطرحها أدب الطفل لجمهوره مثار جدال بين الباحثين، كذلك كانت نهايات القصص المطروحة لأطفال هذه المرحلة. قررنا في قصص المراحل السابقة أنها لابد أن تكون نهايات سعيدة لضرورة هذه النوعية من النهايات في تنشئة صحية للأطفال، ذكرناها في موضعها أعلاه. لكن في هذه المرحلة السّنيّة الحرجة فالمسألة جدلية لا اتفاق فيها بعد: فهناك من المهتمين بأدب الطفل من يرى ضرورة استمرار "النهايات السعيدة" لتصبح عنصراً أصيلاً من قصص الأطفال بكل فئاتهم العمرية؛ ومنهم من يرى ضرورة إدخالهم مرحلة الواقعية بعرض نهايات مأساوية.^{٤٧} في رأيي أن هكذا موضوع ينبغي أن يُراعى فيه طبيعة الشعوب وتقبلها لهكذا نهايات سعيدة كانت أو مأساوية. لنأخذ مثلاً المسلسل الكرتوني الشهير، *كابتن تسوباسان*، (أو *كابتن ماجد*). ففي نسخته الأصلية اليابانية وأيضاً العربية المدبلجة الكابتن تسوباسان (أو ماجد) يظهر على أنه لاعب كرة قدم أسطوري، تُختتم حلقاته من الإنمي بنهاية سعيدة يتوّج فيها انتصاراته المتعددة. بينما الحلقة الأخيرة من نسخته الأسبانية، *كابتن أوليفر*، يتفاجأ جمهور المشاهدين أنّ جميع انتصارات الكابتن الأسطورية لم تكن إلا حلماً راوده فترة غيبوبة قضاها وقت مكوثه في مستشفى، من جراء حادث تعرض له، ليستفيق منها ويكتشف فاجعة أنّه مبتور القدمين.^{٤٨} في الحقيقة، هكذا اختلافات في النهايات التي تتفاضل اختياراتها باختلاف الشعوب المشاهدة لها، يُحبذ له دراسة مقارنة شبيقة تفسر لنا أسباب انجذاب الشعوب الآسيوية والعربية خصوصاً للنهايات السعيدة الخيالية التي تنحاز فيها لرضى غالبية الجماهير على حساب قلة عاشت هكذا نهايات مأساوية؛ وتقارنها بأسباب تقضيل الشعوب الأوروبية لنهايات مأساوية واقعية، تنحاز فيها للتعاطف مع أصحاب الإعاقات وتفضلهم على إمتاع العامة الصحيحة.

٥- الحاجة لتقدير الذات (الذات في عيون صاحبها: ١٥-١٧ سنة): في نهاية مرحلة المراهقة ودخول مرحلة الشباب المبكر يغادر صغيرنا مرحلة الطفولة. وهذه المغادرة تتعزز معها رغبة ملحة لإبراز مظاهر واضحة لهويته الفسيولوجية (ذكورة، أنوثة)، مع تعزيز لمعانيتها المصاحبة لكليهما (قوة وعطف، شجاعة وامتنان، كرم وعطاء ... إلخ). وعليه فما يوافق هذا التطور في شخصية الشباب الصغار من نتائج أدبية هو ما يستمد مادته من قصص العشاق، وتاريخ البطولات لشخص من

التاريخ الحقيقي أو من الخيال التاريخ. هذه المرحلة لها فعل السحر في تعزيز كل ما سبق طرحه من مفاهيم عن الحق والخير والجمال، ليأتي الحب وبطولاته متوجا لجميع المفاهيم التي طرحها الأدب على طفله الذي شبَّ الآن عن الطوق وأصبح منذوقا لجمالياته غير المخصصة بعمر معين. نقول إحداهن، في نقاش لي عن أثر أدب المراهقة على أدلجة تفكيرها وقراراتها الحياتية إن قراءة قصة *بول وفرجينى* أو *الفضيلة*، للكاتب الفرنسي جاك أونري برناردين دي سان بيير (ت. ١٨١٤م)، على تعريب مطصفي لطفي المنفلوطي (ت. ١٩٢٤م)، في مرحلتها العمرية المتوافقة ورغبتها في إثبات ذاتها كان لها أثرها العميق في علاقتها بشريك حياتها لاحقا، وتوجيه سلوكياتها معه في إطار من العفة والفضيلة. هي مرحلة عمرية يغادر في آخرها صاحبها فترة التذبذب الحاد في الشخصية التي لازمتها في الفترة الحرجة من سني نموه وتطوره ويستقر فيها على ما غلب على إدراكه ووعيه من مفاهيم اكتسبها من مراحل عمرية سابقة، نبيلة كانت أو نقيضها.

هذه المرحلة يوافقها أيضا إعادة طرح لمفاهيم مجردة تم تعلّمها في الصّغر، من خلال فن قصصي، يُعاد ترسيخها الآن من خلال نقاش منطقي، نغم فيه ظرف أو حدث يستدعيه، ولا نفرضه فرضا على الشباب الصغار. ربما ضربنا مثلا على ذلك ما مرّ معي في حلقة درس لطالبات مستجدات في الجامعة، غالبيتهم بعمر السابعة عشرة، واستغرقنا فيه الشرح حتى تجاوزنا وقت المحاضرة بعدة دقائق، وإذا بي أنفاجاً بطالبة منهن تقطع الشرح، وتأخذ أغراضها، وتخرج من المحاضرة دون استئذان. وعندما استوقفناها قالت في تذر: "الوقت انتهى، ومن حقي الذهاب." تركتها تخرج، وفي المحاضرة التالية، في ختام اللقاء بعد انتهاء الدرس المقرر، طرحت عليهن سؤالا: "في ظنكن، كيف يمكننا ترتيب المفاهيم التالية: الحق، الخير، الجمال، من حيث تدرّج أهميتها؟" جاءتني عدة إجابات انقسمت في الترتيب مابين: "الحق أولا يليه الخير ثم الجمال"، وما بين "الخير أولا يليه الحق ثم جمال." الغريب هو أنه لم تأتني أي إجابة تقدّم الجمال على الحق والخير. ضربتُ لهنّ مثلا؛ "لو أن لكِ حقا وأردتِ الحصولَ عليه، وقمتِ بالمطالبة به "بتجهم وعنف"، فلن يلومك أحدٌ بطبيعة الحال حينها على تجهمك لأنك حصلت به على حق مزعوم، لكن حقا في هذه الحالة سينتقي منه عنصرا الخير والجمال." واستأنفت المثال بآخر عن أن من تقاطع أستاذًا، تجاوز وقت المحاضرة ببضعة دقائق، وتهم بالخروج دون استئذان فلن يلومها أحد على تصرفها حتى وإن أزعج أستاذها. وأكملت، "لكننا سنجد من الطالبات من ستطلب المغادرة بذوق دون إثارة جو من المشاحنة بينها وبين الأستاذ وتذهب في هدوء، وهكذا تصرف يتسيّد فيه الخير على الحق لكن مع ضبابية في رؤية قيمة الجمال!"

وأُكملت: "يبقى لنا من الخيارات من سترضى من الطالبات ببضعة دقائق من التأخير، في سبيل أن تعطي الأستاذ وقته؛ لإنهاء شرحه في أجواء مستقرة، يكتمل فيها ما يُراد استيفاءه من معلومة، دون إبداء أي تذمر بل ببشاشة وسعة صدر واستيعاب لأهمية اللحظة. هكذا تصرف "نبيل" من الطالبة تتغلب فيه قيمة الجمال على قيمتي الحق والخير، لكن في استعلاء هذه القيمة الإنسانية عليهما هي بالضرورة متضمنة لهما بالضرورة، لذلك فالترتيب لهذه القيم (من الأهم فالمهم) هو كالتالي: الجمال، الخير، الحق، وفي ضوء هذا الترتيب نفهم لماذا فضّل الله أن يصف نفسه بالجمال في قول رسوله (ص): "إن الله جميل يحب الجمال"، ولماذا الله {يحبُّ المحسنين}، ولماذا تعالت درجة الإحسان - الذي هو الحُسن صنو الجمال- على درجتي الإيمان والإسلام، ولماذا صار الجمال هو منتهى قصد الطالبين وغاية درب السالكين، كما هو الإدراك الصوفي للكلمة."

مع نهاية النقاش، رأيت في وجوه الطالبات ما أدركت به أنهن يفهمن الآن معنى الجمال كقيمة متعالية عن المقاصد الحسيّة، بها استحق أن يأتي في الترتيب أولاً، متفوقاً على الخير والحق.

خاتمة:

هذا البحث افتتح صفحاته في تساؤل عن أسباب انهزامية النتاجات العربية لأدب الطفل أمام نظيرتها العالمية. واستناداً إلى نتيجة عينة الدراسة العشوائية من شريحة الآراء المجموعة من مواقع التواصل الاجتماعي لمنديات تجمع الشباب الذين رسخت في ذاكرتهم أعمالاً أجنبية تلاشى بجانبها أثر الأعمال العربية التي غلب عليها النصح والإرشاد، خلّص البحث إلى أنّ من أهم أسباب لإخفاق الأعمال الأدبية الموجهة للطفل في عالمنا العربي عموماً، والخليجي خصوصاً، في جذب جمهورها، بل ونفورهم منها إلى أعمال من إنتاج عالمي، هو غلبة الصوت الأبوي عليها. فهي مصاغة في قوالب من "إفعل ولا تفعل" فيما يخص رؤية كبار (ذات أهداف دينية، تربوية، ووطنية) ممن يظنون أنهم قادرون على "غصب" الصغار على قبولها. فهي في أهدافها لا تجعل الأولوية لـ "واقعيّات الطفل" بمفهومها العريض عن الواقعيّات التي نعني بها (مشكلات، رغبات، احتياجات) والطفل (الذي نعني به كيان إنساني عالمي لا يحده قطر جغرافي). البحث يقرر أن الأعمال الناجحة هي تلك التي تجعل من قبول الطفل لها "بدوافع ذاتية" غابتها المنشودة منذ لحظة التفكير في إنشائها، وتجعل من أثرها في تشكيل كيانه الإنساني على المدى الطويل معياراً لقياس نجاحها. لتحقيق هذه الغاية وتفعيل هذا المعيار، الدراسة توصي بأن تكون الكتابة للطفل في العالم العربي قائمة على الاعتقاد بعقلية "واعية"

لجمهورها من الصغا، قادرة على استيعاب ما يكتبه الكبار، وعلى فهم الغث من السمين فيما يقدم لهم من نتاجات أدبية، وناقدة بطريقتها الفطرية: فتنفر من الرديء، وتتجنب للجيد منه. لابد أن يعي كتّاب الأطفال أنّه قد آن الأوان لأن تختفي نبرات الوعظ والإرشاد والتوجيه "المباشر" من "افعل ولا تفعل" من كتب أطفالنا في العالم العربي. ينبغي فيما يقدم للأطفال من أدب أن يتذوق فيه الصغار معاني الحق والخير والجمال، من خلال عوالم من المثاليات، بكل ما فيها من غموض وخيال وربما تخويف "ممتع"، شرط تفهم مدركات المرحلة العمرية لجماهيره. الكتابة لهذه النوعية من الجماهير، المخصوصة بمراحل عمرية متفاوتة، لابد أن تكون متفحّصة لمعاني "الإبداع" ونجاحاته من منظور قبول الطفل له، والإقبال عليه، والشغف به. فما يفضلونه هو ما ينبغي أن يحتويه أدبهم، وليس ما يفضلونه الآباء لهم. والإبداع الذي نقصده هنا تحديدا هو "الإمتاع" الذي يثير مشاعرهم، فيجعلهم يضحكون أو ييكون؛ ويجعلهم يتوحدون مع أبطالهم فيتخذون موقفا مناصرا لهم معاديا لأنقادهم؛ وهو أيضا ما يجعلهم يرددون عبارات تتكرر في أعمالهم، وأغانٍ ينشدها شخوص قصصهم. في الخلاصة، نتاجات أدب الطفل في العالم العربي ينبغي أن تطبّق نظريات نفسية وأدبية تراعي (من لحظة إنشائها، مروراً بتنفيذها وإخراجها، ثم تقييمها، حتى تلقيها) أثرها وتأثيرها على الطفل، بحيث توجّه دفة الصراع فيها بين "السلطة الأبوية" و"واقعيات الطفل" إلى مصلحة الأخير دائما؛ فتجعل الغلبة فيه للطفل و"واقعياته" على أي سلطة أخرى تنازعه صلاحياته في أدبه.

الهوامش

^١ السنافر (The Smurfs) هو مسلسل إنيمي مدبلج للعربية عن شخصيات خيالية تعيش في الغابة زرقاء اللون وصغيرة الحجم. ابتكرها الرسام البلجيكي بيير كوليفورد (Pierre Culliford) المعروف باسم بيبو، وتم تحويلها لمسلسل كرتوني لاحقا في الثمانينات من القرن الماضي.

^٢ مسلسل الكرتون عنان ولينة (Future Boy Conan) هو إنتاج ياباني، أنيع لأول مرة في لغته الأصل ١٩٧٨م، ثم تم دبلجته لاحقا للعربية وعرضه تلفزيونيا في فترة الثمانينات، وحقق نجاحا مدويا في إقبال الصغار والكبار أيضا على متابعته، مستمد قصته من رواية المد الهائل، للكاتب الأمريكي ألكسندر كي، منتجة العام ١٩٧٠م. وهي رواية خيال علمي عن أحداث ما بعد الحرب العالمية الثالثة.

^٣ عرّك زمانك، عضو موقوف (رقم عضوية: ٩٦٥٩، الإقامة: الدمام، رقم المشاركة: ٢١، تاريخ: (قديم) ١٠-٠٧-٢٠٠٦، ٠٣:٥٢ AM)، منتدى صحيفة الرائدة الإلكترونية، الرابط الإلكتروني:

<http://www.alraidaiah.com/~alraidaiah/vb/index.php>

^٤ نواف الفهد، المشرف العام (رقم عضوية: ١٠٩١، الإقامة: شاطئ الخفجي، رقم المشاركة: ٢٤، تاريخ: (قديم) ٠٧-١٠-٢٠٠٦، الساعة: ١١:٤٠ PM)، منتدى صحيفة الرائدة الإلكترونية، الرابط الإلكتروني:

<http://www.alraidiah.com/~alraidiah/vb/index.php>

^٥ كابتن ماجد، شخصية إنيمي رياضية، اسمها الياباني الأصلي キャプテン翼 (كابتن تسوياسا) من سلسلة مانغا اليابانية الشهيرة، وتحكي قصة فريق كرة قدم للشباب والأطفال وتركز على شخصية ماجد كامل البطل. المسلسل إذن هو إنتاج ياباني مدبلج للعربية.

^٦ توم وجيري (Tom and Jerry) حلقات كرتونية لصراع بين فأر مشاكس وقط مترصد له في أحداث كوميدية شائعة. مبتكر شخصيت الرسوم المتحركة هو جوزيف باربيرا مبتكر مع زميله ويليام، والشركة الداعمة لهما هي شركة الإنتاج وتوزيع الأفلام الأميركية (Metro-Goldwyn-Mayer) (١٩٤٠م-١٩٦٧م). أُذيعت في الخليج العربي (السعودية تحديداً) ابتداءً من السبعينات ومازالت تُعاد حلقاتها حتى يومنا الحاضر، وتجذب متابعات واسعة بين الأطفال ابتداءً من سن مبكرة (الثالثة من العمر).

^٧ مزاجية، مشاكسة المنتدى (رقم عضوية: ٣٢٨، الإقامة: غ. م.، رقم المشاركة: ٢، تاريخ: (قديم) ٢٩-٠٦-٢٠٠٦، الساعة: ١٢:٤٥ AM)، منتدى شبكة الفحاء (الأرشيف)، الرابط الإلكتروني:

<http://www.alfaiha.net/vip/showthread.php?t=25133#.XUVYXOhKjIU>

^٨ كاشح، مشرف (رقم عضوية: ١٧٢٠، الإقامة: غ. م.، رقم المشاركة: ٣، تاريخ: (قديم) ٢٩-٠٦-٢٠٠٦، الساعة: ١٢:٤٩ AM)، منتدى شبكة الفحاء (الأرشيف)، الرابط الإلكتروني:

<http://www.alfaiha.net/vip/showthread.php?t=25133#.XUVYXOhKjIU>

^٩ ليدي ليدي (Lady Lady)، مسلسل إنيمي درامي عن فتاة صغيرة تُسمى لين وتعيش في إنجلترا، وهو من إنتاج ياباني. دُبلج للعربية في نهاية الثمانينيات، ولقي إقبالا واسعا من جمهور الفتيات الصغيرات بخاصة.

^{١٠} المُحقق كونان (Detective Conan)، من سلسلة مانغا للكاتب الياباني غوشو أوياما. حُوّلت إلى مسلسل أنمي في ١٩٩٦م في اليابان، وتم لاحقا دبلجتها للعربية. حققت نجاحا باهرا في أوساط الصغار من المشاهدين العرب، الصبيان بخاصة.

^{١١} سلام دانك (Suramu Danku)، من سلسلة مانغا الرياضية اليابانية التي ظهرت في تسعينات القرن الماضي، وتدور حول فريق لعبة كرة السلة بمدرسة شوهوكو الثانوية. تم دبلجتها للعربية في أواخر التسعينات. حققت نجاحا باهرا بين جمهور الصبيان بخاصة.

^{١٢} عيون سائل، الدرجة الخاصة (رقم عضوية: ٣٠٥٣، الإقامة: عُمان، رقم المشاركة: ٥، تاريخ: (قديم) ٢٩-٠٦-٢٠٠٦، الساعة: ١٢:٥٨ AM)، منتدى شبكة الفحاء (الأرشيف)، الرابط الإلكتروني:

<http://www.alfaiha.net/vip/showthread.php?t=25133#.XUVYXOhKjIU>

^{١٣} انظر منتدى مكسات الذي لا تجد في إجابات المشاركين عن سؤال أكثر المسلسلات الكرتونية التي تجذبك لمشاهدتها حاليا؟ "سوى عناوين لمسلسلات من إنتاج ياباني، كوري، أوروبي، وأمريكي في غالبيتها، انظر الرابط الإلكتروني:

<http://www.mexat.com/vb/archive/index.php/t-136661.html>

^{١٤} مؤسسة ماجد للترفيه، ماجد (الموقع الرسمي لصفحة الويب):

<https://majid.ae/about>

^{١٥} المصدر السابق.

^{١٦} السؤال مطروح في تويتر "كلام من ذهب، (@Mi_4321)"، الرابط:

https://twitter.com/Mi_4321/status/1174095286614016003

^{١٧} انظر المرجع التالي:

S. Dilidüzgün, "Çağdaş çocuk yazını: Yazın eğitime atılan ilk adım, Morpa Kültür Yayınları," cited from Erkan Çer, "Preparing Books for Children from Birth to Age Six: The Approach of Appropriateness for the Child," *Journal of Education and Practice*, 7, 6 (2016), 78-99, particularly, p. 78. Available from:

https://www.researchgate.net/publication/334898630_Preparing_Books_for_Children_from_Birth_to_Age_Six_The_Approach_of_Appropriateness_for_the_Child
[accessed Dec 10, 2019].

^{١٨} انظر المرجع التالي:

Erkan Çer, "Edebiyatta çocuk gerçekliği ve çocuğa görelilik ilkelerinin incelenmesi [The Study of Child Reality and Relation to Child Principle in Literature]." Unpublished PhD diss., Ankara University, 2014, cited from Çer, 2016, p. 79.

^{١٩} لمزيد من الاطلاع على هذا الجدول انظر المرجع التالي:

Theresa, Rogers, "Literary Theory and Children's Literature: Interpreting Ourselves and Our Worlds," *Theory Into Practice*, 38, 3 (1999): 138-46.
<http://www.jstor.org/stable/1477304>.

^{٢٠} بل هم الآن في مرحلة متجاوزة هذا التوظيف إلى جدلية أهميته. انظر المرجع التالي:

Jill P, May, "Theory and Textual Interpretation: Children's Literature and Literary Criticism," *The Journal of the Midwest Modern Language Association* 30, 1/2 (1997): 81-96.

^{٢١} جان جاك روسو، *إميل، أو تربية الطفل من المهد إلى الحد، ترجمة: نظمي لوقا، تقديم: أحمد زكي محمد (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٨)*، ص. ١٨. صدر الكتاب في لغته الأصلية سنة ١٧٦٢م.

^{٢٢} المصدر السابق، ص. ٤٣.

^{٢٣} كيمبرلي رينولتز، *ألب الأطفال، مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: ياسر حسن، مراجعة: هبة نجيب مغربي (القاهرة: مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤)*، ص. ٥٢.

^{٢٤} المصدر السابق.

^{٢٥} المصدر السابق.

^{٢٦} انظر المرجع التالي:

A. H. Maslow, "A Theory of Human Motivation," Originally Published in *Psychological Review*, 50 (1943), 370-396, particularly, pp. 395-96.

^{٢٧} انظر: باربرا كولكي ودافنا ليميش، *التواصل مع الأطفال: مبادئ وممارسات للرعاية والإلهام والتحفيز والتثقيف والتعافي (نيويورك: منظمة الأمم المتحدة للطفولة-يونيسيف، ٢٠١١)*، ص.ص. ١٨-١٩ (انظر الجدولين). موقع إلكتروني:

https://www.unicef.org/cwc/files/Communicating_with_Children_Arabic.pdf

- ^{٢٨} انظر:
- (201). Cer, ٦).
- ^{٢٩} انظر المرجع التالي:
- James S. Jacobs & Michael O. Tunnell, *Children's literature, briefly* (Columbus OH: Merrill, 1996), p. 34.
- ^{٣٠} الدراسات أثبتت قدرة الأدب على تنمية جانب التعاطف عند الأطفال، انظر المرجع التالي:
- Natalia Kucirkova, "How Could Children's Storybooks Promote Empathy? A Conceptual Framework Based on Developmental Psychology and Literary Theory," *Frontiers in Psychology*, 10 (2019), 1-15, particularly, p.p.: 10-11.
- ^{٣١} انظر الأدوار التي تلعبها الصورة لتدعيم جانب القصة السردية في صياغة عناصرها الفنية (مثل: التوضع المكاني والزمني، تعريف الشخص وتطورهم، تطور القصة... إلخ) في المرجع التالي:
- Zhihui Fang, "Illustrations, Text, and the Child Reader: What are Pictures in Children's Storybooks for?" *Reading Horizons: A Journal of Literacy and Language Arts*, 37, 2 (December: 1996), 130-142.
- ^{٣٢} انظر المرجع التالي:
- Kayoko Inagaki, and Giyoo Hatano, "Young Children's Recognition of Commonalities between Animals and Plants." *Child Development*, 67, 6 (1996), 2823-2840. JSTOR, www.jstor.org/stable/1131754.
- ^{٣٣} كولكي، *التواصل مع الأطفال*، ص.ص.: ١٨-١٩ (انظر الجدولين).
- ^{٣٤} علي الحديدي، *في أدب الطفل* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨)، ص. ٩٤.
- ^{٣٥} الحسين بن عبد الله بن سينا (أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس) (ت. ٤٢٨هـ): رسالة ضمن «مجموع في السياسة»، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد (الإسكندرية: مؤسسة شباب الإسكندرية، د. ت.)، ص. ١٠١.
- ^{٣٦} أحمد زلف، *أدب الطفولة: بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي (دراسة تحليلية نقدية)* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤)، ص. ٣٠.
- ^{٣٧} انظر ما توصي به منظمة اليونسيف في التعامل الإعلامي مع هذه الفئات المهمشة في: كولكي وليميش، *التواصل مع الأطفال*، ص. ٤٢.
- ^{٣٨} مقابلة صحفية مع كاتب الأطفال المصري يعقوب الشاروني، "أدب الأطفال يفتقر إلى نقد نظري تطبيقي"، *ميدل إيست أونلاين (MEO)*، (الخميس، ١٧ / ٣ / ٢٠١٦م). الرابط الإلكتروني: <https://bit.ly/35A9BTO>
- ^{٣٩} المصدر السابق، ص. ٢٣. (انظر الفقرة الأخيرة من العمود الثاني المعنون "السلوكي/ البدني" من جدول الخصائص الرئيسية لنمو الأطفال (سني المراهقة المبكرة (١١-١٤ سنة)). الرابط الإلكتروني: https://www.unicef.org/cwc/files/Communicating_with_Children_Arabic.pdf
- ^{٤٠} في موقع المجلة الإلكترونية نقرأ أن المجلة تسعى إلى تشكيل وعي أطفال اليوم وتعريفهم بتراثهم وهويتهم بتقديم مادة إعلامية آمنة تستهدف الأطفال بمختلف مراحلهم العمرية وجيل ماجد من الآباء والأمهات. الرابط الإلكتروني: <https://majid.ae/about/>
- ^{٤١} محمد حسن بريغش، *أدب الطفل: أهدافه وسماته* (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤)، ص. ٥١.



^{٤٢} من محاضراتي في مادة "تصوُّص أدبية" عام ٢٠٠٩.

^{٤٣} المصدر السابق.

^{٤٤} انظر المرجع التالي:

Wolfgang Iser, *The Implied reader* (Maryland: the Johns Hopkins University Press, 1974), 274..p

^{٤٥} انظر المرجع التالي:

&J. Thompson & G. Woodard, "Black Perspective in Books for Children," in D. MacCann G. Woodard (eds.), *The Black American in Books for Children: Readings in Racism* (Metuchen, NJ: Scarecrow press, 1972), p. 23.

^{٤٦} انظر المرجع التالي:

R. Leeson, *Children's Books and Class Society: Past and Present*, Children's Rights Workshop (ed.), *Papers on Children's Literature* no. 3 (London: Writers and Readers Publishing Cooperative, 1977), p. 43.

^{٤٧} للوقوف على الجدل الأكاديمي بخصوص هذا الموضوع (النهايات السعيدة)، انظر المقالات المتضمنة في المرجع

التالي:

Camilla Nelson, Deborah Pike & Georgina Ledvinka (eds.), *On Happiness: New Ideas for the Twenty-First Century* (Crawley, UWA Publishing, 2015).

^{٤٨} منتدى إلكتروني، "كابتن ماجد مبتور القدمين.. ما حقيقة أشهر مسلسلات الكرتون؟" موقع: قلّ ونلّ. [الدخول ١١

ديسمبر، ٢٠١٩].

<https://bit.ly/2U6K2YP>